

مجلة بحوث  
كلية الآداب

البحث ( ٣٩ )

تقنية المفارقة في رواية

החייל האחרון (الجندي الأخير)

للأديب الإسرائيلي يانون نير

إعداد

د / أحمد فؤاد أنور

مدرس بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

أكتوبر ٢٠١٧م

العدد ( ١١١ )

السنة ٢٨

http : // Art.menofia . edu. eg \*\*\* E- mail: rifa2012@ Gmail.com

تقنية المفارقة في رواية الكزيب الكزيب (الجندي الأخير)

تقنية المفارقة في رواية الكزيب الكزيب (الجندي الأخير)

للأديب الإسرائيلي ياتون نير

د. أحمد فؤاد أنور

مدرس بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

نمبدأ:

يلجأ الكاتب لتكنيك المفارقة أو السخرية - آيرونيا - وهو مصطلح له جذوره في شخصية الهزلية اليونانية إيرون<sup>1</sup> - لأنه يتيح له هامش حرية كبير يعادل اللجوء للرمزية في الكتابة ويقدّر لا يقل تأثيراً وفعالية، "وقد وردت كلمة "إيرونيا" أول مرة في كتاب أفلاطون "الجمهورية". وأطلقها سقراط على أحد ضحاياه، وتفيد "طريقة ناعمة هادئة في خداع الآخرين"، وتفيد عند أرسطو بمعنى المغايرة التي تقوم على الحط من الذات"<sup>2</sup>. أو الأيرونييا" القائمة على الإدعاء"<sup>3</sup>.

فلمفارقة والسخرية تاريخها الطويل في الثقافة الإنسانية، وقد اهتم بها فلاسفة بارزون فضلاً عن أفلاطون، وأرسطو، كانط، وشوبنهاور، وهوبز، وبرجسون وغيرهم. واهتم بها أدباء معروفون أيضاً أمثال الجاحظ وبولدير، وجورج أليوت، وإمبرتو إكو، كما أنها أحد الأساليب التي تستعين بها المجتمعات في مواجهة بعض مشكلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية"<sup>4</sup>. وقد استعانت الكتب المقدسة بالسخرية والتهمك إزاء الأعداء الكافرين بقوة

Eiron<sup>1</sup> شخصية هزلية يونانية لمستضعف ذكي ومن الاسم تم اشتقاق مصطلح irony سخرية نظراً لأن إيرون كان ينتصر مراراً وتكراراً على الشخصية المتفاخرة الأزون، بالتظاهر بالجهل والتواضع، وطرح أسئلة سخيفة فقط لفضح أن جهل الآخرين أكثر عمقا من جهله هو نفسه.

Accessed on 3-6-2017 <https://www.britannica.com/art/irony>

د. ممي مويبيك، موسوعة المصطلح النقدي- المفارقة، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الكتب المترجمة، العراق، ١٩٨٢، ص ٢٦، ٢٧.

راجع: د. شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، عالم المعرفة، الكويت، يناير ٢٠٠٣، ص ٧، ٨.

وتركيزه، وقد استخدمه العهد القديم على لسان الرب لكي يظهر مراوغة بني إسرائيل في التهرب من الوصايا والتعاليم الدينية<sup>٦</sup> والمفارقة تكنيك أدبي<sup>٧</sup> مستخدم في رواية ١٧٧١١١ (الجندي الأخير) للأديب الإسرائيلي يانون نير، حيث أطلق الكاتب خياله لخلق واقع افتراضي، يتيح المجال للضحك والسخرية من ضحالة فكر وفشل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بوضعها وتقاليدها وروتينها الحالي، وهو بهذا يشير للخلل دون تصريح وكأنه يهمس فقط بما يراه صحيحا فإذا قام المتلقي بتفسير الهمس بشكل صحيح وتفاعل معه بشكل إيجابي تحقق الهدف، وإذا تلقاه بغضب وأعلن رفضه له يمكن التراجع والزمع بأن المتلقي فسّر الهمس بشكل خاطيء.

وفقا لنقاد إسرائيليين بدأت السخرية في إسرائيل بترجمة نكات يهودية مع إدخال تعديلات طفيفة عليها وتركزت على الأوضاع الاقتصادية والحروب<sup>٨</sup>. في المقابل رأى "توماس هوبز" أن الهدف والمغزى من عملية الضحك على نقائص الآخرين نوع من الخسة وفساد الأخلاق كما فعل أفلاطون وأرسطو أيضا<sup>٩</sup>، بينما تساءل دي. سي. ميوميك قائلا: هل تتطوي المفارقة على خطيئة<sup>١٠</sup>؟

<sup>٥</sup> راجع: عبد الحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ٣٦: ٤٤. وفايز عارف القرعان، أسلوب التهكم في القرآن الكريم، في بحوث عربية مهداة إلى الدكتور محمود السمرة تحرير حسين عطوان، منشورات جامعة البنات الأردنية، ١٩٩٦، ص ١٥: ٣٠.

<sup>٦</sup> "ידע שור קנהו, וחמור אבוס בעליו. ישראל לא ידע, עמי לא התבונן (ישעיהו א ג) "الثور يعرف قانيه والحصار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم" (اشعيا ١: ٣) و " ויהי בצהרים ויהתל בהם אליהו ויאמר קראו בקול גדול כי אל הים הוא כי שיח וכי שיג לו וכי דרך לו אולי ישן הוא ויקץ" (י"ח، כ"ז) وعند الظهر سخر بهم إيليا وقال: «ادعوا بصوت عال لأنه إله! لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفرا أو لعله نائم فينتبه!» (ملوك أول الاصحاح ١٨ الفقرة ٢٧)

<sup>٧</sup> التقنية هي أسلوب أو فنيّة في إنجاز عمل أو بحث علمي ونحو ذلك، وهي جملة الوسائل والأساليب والطرائق التي تختص بمهنة أو فنّ، وهي بالإنجليزية technique أسلوب أو طريقة معالجة التفاصيل الفنية من قبل الكاتب أو الفنان، وهي طريقة لإنجاز غرض منشود، وبالعبيرية טכניקה ومن معانيها طريقة معالجة مشكلة. דוד שגיב, מילון שגיב; הוצאת שוקן, ירושלים, 2008, עמ' 620.

<sup>٨</sup> דידי מנוסי, נחום רוזמן, צולי כנעני, בדיחמישים, כנרת בית הוצאה לאור, 1998, עמ' 7. <sup>٩</sup> د. شاكر عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٩٠. <sup>١٠</sup> دي. سي. ميوميك، مرجع سابق، ص ٥.

**تقنية المفارقة في رواية החייל האחרון (الجندي الأخير)**  
وعلى هذا يمكن اعتبار النص محل الدراسة حلقة جديدة من حلقات اهتمام الأدب العبري الحديث بتقديم صورة نقدية لـ "البقرة المقدسة" المتمثلة في الجيش الإسرائيلي في ظل عدم القدرة على مواجهته بشكل مباشر وتغيير سياساته وجرائمه المتكررة، وهو التوجه الذي مار عليه ساميخ يزهار ١١ عندما كتب השבוי (الأسير)، وبنيامين تموز عندما كتب המקרה (واقعة السفينة) على سبيل المثال في النثر، كما ظهر في قصائد غنائية انتقدت الجيش الإسرائيلي<sup>١٢</sup>.

ويجب الإشارة هنا إلى أن تلك التقنية الساخرة كانت ستصم مؤلفها بمعاداة السامية لو لم يكن يهوديا، وكانت ستعتبر امتدادا لأعمال أدبية هزلية أوروبية من القرن الثامن عشر تعتبر أن كلمة يهودي سببا يقصد بها الإساءة والمعايرة<sup>١٣</sup>، وتعد الكتابة الساخرة في الأدب العبري الحديث نادرة، وتفسير ذلك هو ميل الأدب العبري في بداياته إلى تصوير ضعف الشعب اليهودي وما يتعرض له من ضربات على نحو يشكل واقعا مريرا، وكذلك ضرورة إحياء اللغة برصانة وجدية. ومن نماذج الكتابات الساخرة أعمال لـ أهرون ألموج، ول دان بنيه سري، بجانب كتابات مسرحية لـ حانوخ لفين، ومسرحية وسيناريوهات سينمائية لأفرايم كيشون<sup>١٤</sup> وقد كتب في هذا الاتجاه أيضا الكاتب الفلسطيني إيميل حبيبي وربما يكون قد أثر في محيطه من أدباء العبرية<sup>١٥</sup>.

١١ "الأسير" عام ١٩٤٨، و"خربة خزعة" سنة ١٩٤٩.  
١٢ אלונה קמחי قصيدة لננין של הרגל مسألة تعود، هاجمت فيها ممارسات الجيش الإسرائيلي في الضفة وغزة، قرر قادة الجيش الإسرائيلي عدم بثها مغناة في إذاعة الجيش الإسرائيلي لمساهمتها فيما وصفه بخفض نسبة انضمام الشباب لصفوف الجيش الإسرائيلي.  
<http://www.mako.co.il/pzm-magazine/Article-10ae3ae9e846a31006.htm>  
<sup>١٣</sup> د. رمسيس عوض، اليهود في الأدب الإنجليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص ٥٠، ٥١.

"שמעון אדף، אין לנו הומור؟، ידיעות אחרונות، 3-6-2005  
<http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3088632,00.html>  
<sup>١٥</sup> وهناك من لم يكتف فقط بكتابة الأعمال الأدبية سواء أكانت رافضة للحرب أم ساخرة من عناصر وسياسات في الجيش الإسرائيلي، وشارك عمليا في الاحتجاجات في الشوارع ضد قراراد للجيش الإسرائيلي مثل ا.ب. يهوشوع، وعاموس عوز، ودافيد جروسمان، وتسوريا شالين وزوجها آيال ميجيد  
<http://e.walla.co.il/item/2654688>

مضمون الرواية: قسم المؤلف روايته إلى قسمين الأول ١٤٥ صفحة (٢٦ فصلا) يتسم بالكتابة الواقعية والسخرية المباشرة، والثاني ٨٠ صفحة (١٤ فصلا) اتسمت الكتابة فيها بالرصانة لرصد تحول الشخصية الرئيسية وهو يتوجه للقتال، حيث خصصها المؤلف لعودة المجند للخدمة بعد انقطاع وما شهدته من قتال حقيقي وليس مجرد تدريبات. وهذا مفاده أن فترة التدريبات هي الأهم وهي التي تترتب عليها نتيجة القتال..ولذا أولها المؤلف أهمية خاصة. الأحداث تتبع الشخصية الرئيسية منذ انضمامها للجيش الإسرائيلي وهو لا يزال في مرحلة الدراسة الثانوية وتأكيد على أن هناك من ينضم للجيش في مرحلة دراسية وعمرية أصغر..وطبيعة التدريبات والعلاقة بين الزملاء والقادة في مرحلة تحويل المدني إلى جندي مقاتل وكذلك نظرة المحيط المجتمعي في التجمع السكني الفقير لمن ينضمون للوحدات عالية التدريب في الجيش الإسرائيلي ومظاهر الفساد والإهمال والعنف غير المبرر تجاه الأدنى درجة وتجاه الفلسطينيين..ثم حصاد هذه التدريبات ونتيجتها على أرض الواقع في القتال في جنوب لبنان. ومن المقارنة بالأوضاع داخل ملهي ليلي وأسلوب تأمينه، من حيث انتقاء عناصر التأمين وتحصينهم ضد الفساد تبرز وجهة نظر نقدية ساخرة للشخصية الرئيسية التي تجنح في مراحل عديدة للاندماج مع الضحايا بتبادل المواقع بين عناصر جيش الإسرائيلي وبين الشعب الفلسطيني، كما تبرز نبرة هجومية ضد القادة العسكريين والسياسة، بل والأدباء والإعلاميين المروجين لهم والمنعزلين عن الواقع. فيتتبع النص الأدبي نظرة الفتى الإسرائيلي اليافع للجيش ثم رصده لفترة التدريب الأساسي التي تقوم على تجهيزه للقتال واحتكاكه المباشر بالفلسطينيين من ناحية وطبقات المجتمع الإسرائيلي المختلفة خلال التدريبات وخلال الاجازات واللهور، ويصل بنا للحظة المواجهة ومدى نجاح أو فشل مؤسسة الجيش الإسرائيلي في مسعاها لتحويل الفتى -حتى قبل أن ينضج- ليصبح ترسا في ماكينة القتل والاحتلال، وهل ستتجح المؤسسة في أداء وظيفتها وغايتها التي تم من أجلها ارتكاب كم هائل من التجاوزات والجرائم.

زمن الرواية: الزمن محدد وهو التسعينيات وهي الفترة التي تولي فيها اليسار الحكم ووقع على اتفاقيات أوسلو ودخل فيها عرفات والسلطة الفلسطينية قطاع غزة ومناطق في الضفة الغربية وتساعدت فيها عمليات المقاومة اللبنانية.

تقنية المفارقة في رواية *החיייל האחרון* (الجندي الأخير)  
تعريف بالمؤلف يانون نير: من مواليد ١٩٧٥ في إسرائيل حاصل على درجة الماجستير  
من جامعة تل أبيب، كاتب يساري التوجه ومالك -مع شقيقته- لدار نشر "أرييه نير" ورثها  
عن والده. فسر خطه في الكتابة الساخرة بقوله: אני לא מאמין שיש בארץ מישהו  
שמסוגל לומר עליו משהו רציני. أنا لا أؤمن بأنه يوجد في إسرائيل شخص ما صالح  
يمكن أن يقال عنه شيء ما جاد<sup>١٦</sup>. يميل للكتابة الواقعية الممزوجة بالسخرية<sup>١٧</sup>، وأول  
إصداراته "مرتان دفنوا برطا" وهو مجموعة قصصية منشورة عام ١٩٩٨ ولاقت استحسانا  
تقنيا، كتابه الثاني رواية "الفترة الزرقاء" اتهمه النقاد بأنه يذبح الأبقار المقدسة، لكنه في  
الوقت ذاته يحرض على قتل الساسة حيث دارت القصة حول عام انفصال والد الشخصية  
الرئيسية "عيدان" عن والدته فقرر التمرد على الجميع والسفر لبولندا وفي ذات التوقيت تم  
قتل اسحاق رابين (صدرت الرواية عام ٢٠٠٣)<sup>١٨</sup>، وكان الإصدار الرابع رواية ساخرة  
(صدرت عام ٢٠١٢) بعنوان "مغامرات مفرومة" عن امرأة تحضر للدكتوراة وتواجه  
صعوبات في تربية صغيرها.

<sup>١٦</sup> דור בביוף, הזירה הספרותית: המתנהל מול השמאלני, 4-6-2015  
<http://www.nrg.co.il/online/47/ART2/698/640.html>  
١٧ ירין כץ, ראיון עם ינון ניר, מחבר הספר "החיייל האחרון" קורא בספרים, מגזין  
ספרות, ١٨-١٠-٢٠١٥

<https://korebasfarim.com/2015/10/18/%D7%A8%D7%90%D7%99%D7%95%D7%9F-%D7%A2%D7%9D-%D7%99%D7%A0%D7%95%D7%9F-%D7%A0%D7%99%D7%A8-%D7%9E%D7%97%D7%91%D7%A8-%D7%94%D7%A1%D7%A4%D7%A8-%D7%94%D7%97%D7%99%D7%99%D7%9C-%D7%94%D7%90%D7%97%D7%A8>

<sup>١٨</sup> <http://www.e-mago.co.il/e-magazine/blue.html>

أما الرواية محل الدراسة فقد اعتبرها الناقد عمري هرتسوج عملاً أدبياً يصور الخدمة العسكرية بمثابة فقاصة لا تنتمي لأحد<sup>١٩</sup>. وهو ما اتفق معه نقاد آخرون صنفوا العمل على أنه كتابة عاضبة مناهضة للحرب<sup>٢٠</sup>. واعتبرتها الناقدة ايليت كوهين نتاج قلم يعرف مجتمعه إلى حد مؤلم<sup>٢١</sup>. وهو في جميع الأحوال عمل عدائي للجيش الإسرائيلي بسياساته الحالية. ومن الدراسات السابقة عن السخرية أو المفارقة في الأدب العبري د. محمد أحمد صالح، مندلي، موخير سفاريم كاتباً عبرياً ساخرًا، رسالة ماجستير، آداب جامعة القاهرة، ١٩٩١. وأحمد محمود محمد شمس الدين، المحاكاة الساخرة في الشعر العبري في النصف الثاني من القرن العشرين - دراسة تحليلية، رسالة ماجستير آداب جامعة عين شمس، ٢٠١٥. أهمية الدراسة:

تكبدى أهمية هذه الدراسة في كون إسرائيل قامت على القوة العسكرية لم ترتكز على قانون دولي أو تواصل تاريخي، ولا بالطبع على جانب أخلاقي أو حتى منطقي، لذا كانت للمؤسسة العسكرية حتى قبل قيام الدولة مكانة حافظت عليها العناصر الأصغر سناً بعد أن تتفقت من الأكبر والأكبر وهكذا حتى صدمت الجميع هذه الرواية المتفردة لكونها تستهدف بالسخرية اللاذعة هذه المؤسسة ومنظومتها، جنباً إلى جنب مع إبراز جرائم الاحتلال. وتتاول الدراسة بالرصد والتحليل نصاً أدبياً صدر حديثاً - عام ٢٠١٥ - لا يمجد المؤسسة العسكرية، بل يعريها ويعري فشلها وكذبها، حيث سعى الأديب من خلال النص إلى التحرر من القيود المرعية في عدم جواز نقد المؤسسة وسمح لنفسه - عبر قناع اللغة والسخرية - من أن يوجه انتقاداته إليها، فعلى الرغم من أن موضوع الحرب من الموضوعات التي أثار اهتمام كتاب العبرية حتى قبل قيام الدولة<sup>٢٢</sup> فقد ارتبط الأدب العبري الحديث بالحروب، فإن

<sup>١٩</sup> عمري הרצוג، השירות הצבאי כבועה שאינה שייכת לדבר، הארץ، 24-8-2015.

<sup>٢٠</sup> قارن أحد النقاد بين عمل يانون نير محل الدراسة. بين رواية "الفخ ٢٢" للكاتب اليهودي الأمريكي جوزيف ميلر والصادرة عام ١٩٦١ وتحولت لفيلم سينمائي عام ١٩٧٠، عيّن בתאריך 12-11-2016

[/http://cafe.mouse.co.il/topic/3303819](http://cafe.mouse.co.il/topic/3303819)

<sup>٢١</sup> <http://www.nrg.co.il/online/47/ART2/739/275.html>

<sup>٢٢</sup> سبق جيل البالماح أنشطة عسكرية فردية في الحرب العالمية الأولى، حيث احتفى النقاد والساسة من الصهاينة بالشاعر (אצ"ג) أوري تسفي جرينبرج (١٨٩٦-١٨٨١) لقتاله في صفوف الجيش النمساوي المجري وكان عضواً في أول كنيسة بعد قيام إسرائيل وحصل على جوائز إسرائيلية

تقنية المفارقة في رواية الكهليل האחרון (الجندي الأخير)  
لرواية مثل الدراسة ركزت جل اهتمامها على فترة التدريب الأولية بما يصاحبها من  
مراحل المؤسسة العسكرية وللأفراد المتقدمين للخدمة العسكرية أيضا، واتسم العمل الأدبي  
بالإيمان عن النماذج النمطية المعدة سلفا والتكرار في معالجة ووصف ويلات الحرب  
بموضوعات المقاتلين<sup>٢٢</sup>.

وقد اختار المؤلف أن يفسح بسخرية صادمة للقاريء الإسرائيلي مساحة تتناول غير  
سيرة كفاصول مرحلة التدريب والانتقاء والنوازع الشخصية للقائمين عليها، خاصة أن تلك  
تصلية بدأ في مرحلة ما قبل الحصول على الشهادة الثانوية أي أنها تؤثر بعمق في رسم  
مناخ الشخصية الإسرائيلية، نظرا لأن بعد سنوات التجنيد الإجمالي وما يسبقها من إعداد  
يد للمجنّد نفسه أمام إجراءات مادية وتسهيلات في الحياة العملية نظير التوقيع على  
التضامن لقرات أخرى في الجيش<sup>٢٤</sup> ناهيك عن فترات الخدمة في قوات الاحتياط التي لا  
تد في أوضاع الطوارئ عن أربعة أسابيع سنويا.

حياة الدراسة على هذا النحو تكمن في إبرازها خصوصية هذه الرواية خاصة أن جل  
أعمال الأنبياء العبرية التي تناولت الجيش الإسرائيلي وموقف المجتمع منه وموقفه هو من  
تخضع وكذا شخصية المقاتل وكيفية تعامله مع محيطه خاصة العربي، تلك الأعمال

---

عديدة في الأدب بعد كتابته عن الحرب والأحداث النازية بالعبرية وبالبيدش. ثم ضم جيل البالماح  
تسا عن الأنبياء في قتاله في فلسطين تحت الانتداب وكتبوا عنها، واهتمام الأدب العبري بالحرب  
لحظة الثانية تم التعبير عنه وفقا لأستاذ الأدب العبري بجامعة تل أبيب افنير هولتسمان كأدب  
سعي لرفض المنفى والتشوهات والآلام واليهودي القديم ويدعم صورة مثالية ذكورية نتاج مواليد  
فطن من الصبار المتسمون بالعزم والشجاعة والإخلاص والتضحية. (أبناور هولتسمان، مفتح  
הוצאת מוסד ביאליק، يروشلים، 2015، ع'م' 23، 24). مשה سرש (عوردد) דן מירון ،  
הוצאת לא"ג، מוסד ביאליק، ירושלים 2002، ע'מ' 17-20.

<sup>٢٢</sup> في الأدب العالمي نماذج عديدة عن الكتابة عن الحرب ومن الكتابات غير التقليدية المعتمدة على  
سيرة ذاتية وثائقية برلين במלחמה חיים ומוות בבירתו של היטלר 1939 - 1945 لروجر  
جورجسون، وقد تمت ترجمته للغات عديدة منها العبرية،

[http://simania.co.il/bookdetails.php?item\\_id=96](http://simania.co.il/bookdetails.php?item_id=96)

<sup>٢٤</sup> بجانب تخصيص راتب سخية ومنح دراسية للراغبين في ذلك يحصل المجند خلال فترة  
التدريب وبعد الانتهاء من الخدمة على إعفاءات ضريبية واسعة النطاق.

<https://taxes.gov.il/IncomeTax/Pages/TaxesIncomeTaxHakalot.aspx>



تجاهلت فترة الإعداد التي تهييء المقاتل لهذه الاختبارات، وقد قامت هذه الأعمال على تمجيد الجيش الإسرائيلي وصك كليشيهات تتحدث عن بطولات المقاتل الإسرائيلي في ميادين القتال أو حتى إحساسه بالذنب من الجرائم التي ترتكب أمامه ويشارك فيها ولو بالصمت، متهرباً من إدانة صريحة وعقوبة واضحة للمنظومة.

وبالتالي ستطرح الدراسة السؤال: هل وظف المؤلف المفارقة والسخرية من الجيش الإسرائيلي وقادته وعناصره ومنظومته في عمله الأدبي لهدم المؤسسة وليس فقط لنقدها أو لإصلاحها؟ وستتناول هذه الدراسة موضوع المفارقة والسخرية في رواية الجندي الأخير عبر النقاط

التالية:

- ١- المفارقة في فشل الجيش الإسرائيلي في ردع العرب
- ٢- المفارقة في كشف الدعاية وكسر المحرم
- ٣- المفارقة في نقد الإهمال واللامبالاة
- ٤- المفارقة في عدم تطور فكر قادة الجيش الإسرائيلي وتضليل الأذباء

وذلك وفق المنهج الوصفي التحليلي باعتباره منهجاً يجمع بين التشريح الداخلي ومحيط مجتمع الأديب وكيفية مزجه في وعي المؤلف وفي العمل الأدبي.

#### ١- السخرية من فشل الجيش الإسرائيلي في ردع العرب:

مهمة الجيش الإسرائيلي الأولى هي قمع العرب وردعهم، نظراً لأن أعداد السكان داخل فلسطين وخارجها دوماً لصالح العرب، في محاولة لكبح رغبتهم في مقاومة الاحتلال وكسر إرادتهم بقوة عسكرية لا يمكن مواجهتها، وهو الهدف الذي سيتبين من الرواية أن إسرائيل فشلت في تحقيقه، وفي هذا انعكاس للواقع، فبعد فشله في حرب أكتوبر فشل الجيش الإسرائيلي كذلك في مواجهة المقاومة اللبنانية وفي مواجهة الانتفاضة الفلسطينية، ففر في

تقنية المفارقة في رواية החייל האחרון (الجندي الأخير)

انسحاب أحادي الجانب من لبنان ومن غزة<sup>٢٥</sup>، ولهذا مردود أمني واقتصادي واجتماعي ونفسي واسع المدى عكسه الأديب في هذه الرواية:

לא סתם הקיפו את הבסיס הזה בכזאת גדר: אחרי כמה חודשים בבסיס כזה אתה ממזיז להתפלל לאלוהים שהערבים יחטפו אותך ויהרגו אותך<sup>٢٦</sup>.

لم يتم احاطة هذه القاعدة بسور على هذا النحو اعتباطا: بعد بضعة أشهر في قاعدة كتاك سدا في الدعاء للرب بأن يقوم العرب باختطافك وقتلك.

يكثف الاستشهاد السابق أن الردع لن يتحقق طالما أنه لا يوجد انتماء للجيش وأن المهنات والمعاملة الفجة وصلت إلى الحد الذي يجعل الجنود يتمنون أن تم اختطافهم وقتلهم على يد "العرب"، فقد أصبح هؤلاء الذين يتم التدريب على مواجهتهم وانفاق ميزانيات لقمعهم وردعهم (المقاومون الفلسطينيون) ليسوا فقط عنصرا محايدا، بل أصبحوا "شيء" ترحم - حال تحققها - الجنود في عدد من قواعد الجيش الإسرائيلي مما يلاقونه من قتل وأهوال. وهو ما يفرغ نظرية الردع من مضمونها ويدمر كل ما تم تجهيزه من أجلها من دعاية وانفاق مالي وأكاذيب.. ويبين بجلاء أن تكلفة الاحتلال باهظة، حتى وإن لم تندلع لحرب ولم يتم شن أية هجمات للمقاومة، وبالتالي لا يمكن احتمال استمرارية الاحتلال مستقبلا.

يرى المؤلف إذن أن العدو هو الملاذ وأن جحيمه أهون من جحيم المدربين بضغطهم على العناصر المستجدة في الجيش الإسرائيلي.. وفي هذا سخرية مريرة وتحريض على التعامل مع المدرب على أنه شخص عنيف يجب مقاومته أو على الأقل الهروب منه. يمكننا هنا ملاحظة مدى ارتباط السور بضمأن عدم فرار من في الداخل وليس الحماية من تخام من في الخارج للقاعدة، أي أن القاعدة تحولت إلى سجن.

<sup>٢٥</sup> استمرت خسائر الجيش الإسرائيلي رغم الانسحاب أحادي الجانب مما كان له أثره بالتأكيد في المجتمع وفي رواية "الجندي الأخير" التي تناولت معارك في لبنان في التسعينات، اندلعت حرب لبنان الثانية في عام ٢٠٠٦ وقد تم تشكيل لجنة تحقيق بشأنها برئاسة قاض إسرائيلي <http://www.nrg.co.il/images/news/dosh.htm> العيون ברשת בתראיד 1-20-2017  
٢٦ نون نير، החייל האחרון، ארייה ניר، 2015، עמ' 38.

وربما يمكننا ملاحظة الأمر ذاته من خلال سرد إبراز الأديب أن في سجن الجيش يتم توزيع سجائر عفنه الرائحة على المساجين من الجنود المخالفين للأوامر حتى يسهل للكلاب تعقبهم إذا حاولوا الفرار، حين تم احتلال الضفة وغزة اقتنى جهاز الاستخبارات الداخلية الشين بيت كميات من هذا النوع لكي يوزعه على عملائه من الفلسطينيين في الضفة وغزة:

أخري שכבשו את השטחים ב'67' ، הסוכנים של שירות הביטחון הכללי ניסו ללא הצלחה להשתמש בסיגריות האלה כדי לגייס מודיעים، אבל הפלסטינים לא שיתפו פעולה. אפילו למשת"פים של השב"כ יש סטנדרטים ואני לא אתפלא בכלל אם אחד הערבים אמר לאחד הסוכנים שיש גבול، שקיימים חוק בין לאומי ואמנות בינלאומיות שישראל חתומה עליהן، וזה שצה"ל הצליח לכבוש את עזה ויהודה ושומרון בשישה ימים، לא אומר שאפשר להתייחס אל הפלסטינים כמו אל הכלואים בכלא צבאי. לסיום הוא הציע לשב"כניק לדחוף את הסיגריות האלה לתחת<sup>27</sup>.

بعد أن احتلوا المناطق<sup>28</sup> في عام 1967، حاول عملاء خدمة الأمن العام دون جدوى استخدام تلك السجائر لتجنيد وُشاة، لكن الفلسطينيين لم يتعاونوا. حتى للمتعاونين مع الشين بيت توجد معايير، ولن اندهش إطلاقاً إذا كان أحد العرب قد قال لأحد العملاء أنه توجد حدود، وأن يوجد قانون دولي ومواثيق وقعت عليها إسرائيل، وأن نجاح الجيش الإسرائيلي في احتلال غزة ويهوذا والسامرة<sup>29</sup> في ستة أيام لا يعني أنه يمكن التعامل مع الفلسطينيين مثل معاملة المسجونين في سجن حربي. في النهاية هو اقترح على رجل "الشين بيت" أن يضع تلك السجائر في مؤخرته.

يصر الكاتب على التأكيد على أن الاحتلال هو بمثابة سجن حربي كبير، وأن أقدر من في هذا السجن -العملاء والوشاة- لا يقبلون معاملة عناصر الجيش الإسرائيلي الذين

<sup>27</sup> ינון ניר، שם، עמ' 16.

<sup>28</sup> مصطلح השטחים "المناطق" اختصار لعبارة השטחים הכבושים المناطق المحتلة (عام 1967).

<sup>29</sup> יהודה ושומרון: "يهودا والسامرة" هو الاسم الذي يطلقه المتطرفون في إسرائيل على الضفة الغربية.

## تقنية المفارقة في رواية الكليل (الجندي الأخير)

يخضعون لعقوبات بالسجن لأسباب انضباطية أو مخالفة للأوامر، والمقارنة هنا ساخرة بشكل أكد المعني وأبرزه بشدة، خاصة أن الرفض جاء بشكل حاسم وقوي وتم انهاؤه بإهانة فجة حتى لا يجزؤ صاحب الاقتراح على تكراره ثانية فيسمع ما لا يرضيه. والخلاصة أن الشعب الفلسطيني يمكنه أن يهرب من السجن دون أن تلاحقه الكلاب لأنه رفض تلك السجائر المعدة لهذا الغرض تمييز الهاربين وتعقبهم لإعادتهم مجددا إلى السجن الحربي الإسرائيلي. ويمكن القول إن "الشاهد على الوقائع يمتلك في الأدب حرية بناء شهادته وترتيب أفكارها وأحداثها ويستطيع أن يتذكر أو ينسى واقعة ما، تضخيم أو تهميش حدث، استبعاد أو إضافة عنصر من العناصر"<sup>٣٠</sup> وهو ما اتبعه المؤلف لإضحاك القراء وإبراز عدم منطقية استمرار الوضع الحالي داخل الجيش الإسرائيلي<sup>٣١</sup>، فسعى للفت الانتباه تهكم المؤلف وازدري أدوات القمع الإسرائيلي للفلسطينيين بهدف التأكيد على أن الجيش الإسرائيلي ليس على ما يرام في مواجهة العرب وأن الجيش الإسرائيلي لا يمكن اعتباره ضمانا لاستمرار إسرائيل على قيد الحياة طالما أنه فشل في ردع الفلسطينيين، وكسر إرادتهم .

ذات الأسلوب استمر مرتبطا بسجائر السجناء التي رفضها الفلسطينيون كما يتضح

من الاستشهاد التالي:

أم العرבי הזה رואה מחוץ לכלא שש، היחידים שמעשנים אסקוט הם קציני מודיעין מאוגדת עזה. הם מעשנים את הסיגריות האלה בגלל שהם ראו סוכני שב"כ צעירים מעשנים אותן. אבל מה שהם לא יודעים זה שהסוכנים הצעירים מחקים את הסוכנים הוותיקים בעניין הזה והסיבה היחידה שהוותיקים מעשנים אסקוט היא שב-67' שירות הביטחון הכללי נתקע עם סטוק עצום של סיגריות שהפלסטינים לא רצו<sup>٣٢</sup>.

لو كان هذا العربي يرى ما هو خارج سجن رقم ٦ فإنه سيجد أن الوحيدين الذين يدخلون سجائر من نوع "اسكوت" هم ضباط مخبرات من تشكيل غزة. هم يدخلون تلك السجائر

<sup>٣٠</sup> د. غراء مهنا، مرجع سابق، ص ٤٨.

<sup>٣١</sup> لمزيد من التفصيل حول سياسات العصابات الصهيونية والجيش الإسرائيلي منذ مطلع القرن العشرين وحتى مطلع القرن الحادي والعشرون انظر: جوني منصور، قادي نحاس، المؤسسة العسكرية في إسرائيل- تاريخ، واقع، استراتيجيات وتحولات، مدار، رام الله، ٢٠٠٩.

<sup>٣٢</sup> ش، لام' 16.

لأنهم رأوا عملاء شين بيت من الشباب يدخنونها. لكن ما لا يعرفونه أن العملاء الشباب يقلدون في هذا الشأن العملاء القدامى، والسبب الوحيد لتدخين القدامى لاسكوت أنه في حرب ٦٧ طلق الأمن العام مع مخزون احتياطي هائل من سجائر رفضها الفلسطينيون.

السجين في الاقتباس السابق أجبر السجن على أن يحل محله، ونلاحظ أن السجين العربي لم تنكسر إرادته على عكس عناصر المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التي قبلت الإهانة والسجن وتيسير عملية تعقبهم وإعادةهم للسجن لو تمردوا أو حاولوا الفرار. والأغرب أن كل هذا يدور على أرض بلدة فلسطينية تم احتلالها منذ ٣٠ عاما على الأقل، أي أن استمرار القمع والاحتلال لم يقهر صاحب الأرض ولم يصدر حكما بالموت عليه، بينما يكاد جنود الاحتلال يلقون بسلاحهم ويفرون. وبذلك يكشف المؤلف أمام القاريء أبعاد المأساة. فالعلاقة بين العرب والجيش على السطح غير طبيعة العلاقة في الأعماق نظرا لأنه عند التدقيق والنظر للصورة الكاملة، وليس لجزئية منفصلة، نجد أن إرادة الفلسطيني لم تنكسر بل حدث العكس حيث فرض ما يراه هو على سجانه.

وفي الاقتباس السابق مفارقة ذات دلالة فوظيفة الجيش هي تشكيل قوة لردع الجانب العربي، ومن الواضح أنه فشل في وظيفته مرارا حتى ولو سيطر على مساحات من الأرض لعشرات السنوات وقد عبر عن هذا الأديب يوسف حاييم برينر عن العلاقة مع الفلسطينيين أصحاب الأرض: "نحن نأتي لكي نتسلل إليهم ونعيش في وسطهم لأن الضرورة اضطرنا إلى هذا. ولقد تولدت بيننا الكراهية بالفعل ولا بد أن تستمر. إنهم أقوى منا بكل المفاهيم وفي قدرتهم أن يدوسوا علينا كما يدوسون على التراب، لكننا نحن أبناء إسرائيل قد اعتدنا أن نعيش ضعفاء بين أقوىاء وعلينا إذن أن نكون مستعدين.. اللعنة على الضعفاء المحين".<sup>٣٣</sup>

يبدو لنا في الاقتباس التالي مجددا تبادل المواقع وتحول السجين إلى سجان، والقائم على الاحتلال لضحية تعاني بنفس مقدار الفلسطيني الذي يعاني من ظلم الاحتلال، ويمكن

<sup>٣٣</sup> إبراهيم الجحراني، القضية الثقافية في زمن التسوية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص ٩١، ٩٠.

تقنية المفارقة في رواية الهيكل الاحمر (الجندي الأخير)  
رأى ذلك كذلك رصد التكتيل بعربي يصطحب أطفاله معه في سيارته لمجرد اقترابه من  
مركز لمجندين إسرائيليين قرب جنين:

بمجرد أن دרך את הנשק שלו، רץ אל המכונית דוחף את הקנה של הרובה דרך  
החלון המתוח ומצמיד אותו לפרצוף של הנהג. הערבי המסכן כמעט עושה במכנסים  
גזוב מזד... ליד הנהג יושב איש זקן ובמושב האחורי מצטופפים אישה עם תינוק  
אביבה או חמישה ילדים. כולם משפילים את הראש. הילד מביט במפקד אורן  
מזד כך בנו. הוא מביט בנו בסקרנות ולא בשנאה<sup>34</sup>.

وضع القائد أوران سلاحه في وضع الاستعداد، ركض نحو السيارة ودفع بماسورة البندقية من  
خلل النافذة المفتوحة ولصقها بوجه السائق العربي المسكين تقريبا بال في سرواله من فرط  
الخوف... بجوار السائق كان يجلس رجل مسن وفي المقعد الخلفي يكتظ مع طفلة تحمل  
رضيعا وأربعة أو خمسة أطفال. الجميع مطأطيء رأسه. الطفل ينظر للقائد وبعد ذلك يتطلع  
إلى. هو ينظر إلينا بفضول وليس بكرهية.

هنا يمكننا ملاحظة أن اسم אורן "أورين" اسم شجرة الصنوبر مما يدل على الثبات  
وعدم مراوحة المكان والتطابق بينها وبين غيرها من الأشجار في الغابات.. ويعكس عدم  
تغيره على التقل أو التغيير الشامل، وكأن هذا القائد الميداني بلا اسم محدد مجرد شجرة  
صنوبر وسط أعداد غفيرة من الأشجار لا تحمل ما يميزها أو حتى اسما خاصا مما يجعله  
غير قادر على التحرك الفعال المرن مع المواقف المختلفة التي تتطلب انتقالا سريعا من  
موقع لآخر.

בתחלה חשבתי שהוא ישלח אחד מאיתנו כדי לומר לערבים שהם יכולים להמשיך  
לנסוע، או ילך בעצמו،<sup>35</sup>  
في البداية ظننت أنه سيرسل واحدا منا لكي يقول للعرب إنهم يستطيعون الاستمرار في  
الغز، أو أنه سيذهب بنفسه.

<sup>34</sup> "נון ניר، שם، עמ' 58.  
<sup>35</sup> "נון ניר، שם، עמ' 58.

يبدو هنا الجندي المستجد قادوش (مقدس باللغة العبرية) بريثا كالطفل الفلسطيني الذي يتابع الموقف من داخل سيارة أسرته، فهو لم يتوقع أن يكون التكتيل سياسة ممنهجة وبلا أي ضرورة أو داع إلى هذا الحد. خاصة وأن المحللون الإسرائيليون لطبيعة وتوجهات المجتمع الإسرائيلي ومنهم أفيفا أريف يرون أن "الجيش الإسرائيلي يعتبر من الأطر العامة الموحدة للمجتمع"<sup>٣٦</sup>، لكنه في وقائع كتلك يثير جدل ولو مكتوم بسلوكه العدواني كجيش احتلال إزاء الفلسطينيين العزل.

בשעה שתיים עשרה אנחנו חוזרים לבסיס. המכונית עדיין שם، בצד הכביש. הילד הקטן כבר לא מביט בנו בעיניים סקרניות... "כשהוא יהיה גדול הוא ישנא אותנו הילד הזה (...)" "זה באמת לא בסדר"... אם המפקד אורן ישמע אותנו אנחנו נשלם על זה בלילה... בטירונות אין מקום לחוש צדק. הטירונות היא מלחמת התשה נגד חוש הצדק<sup>٣٧</sup>.

في الساعة الثانية عشر عدنا للقاعدة. السيارة لا تزال هناك، على جانب الطريق. الطفل الصغير لم يعد يتطلع إلينا بفضول... حينما سيكبر سيكرهنا هذا الطفل (...). إن هذا ليس على ما يرام.. لو سمعنا القائد أورن سندفع ثمن ذلك في الليل.. في فترة الإعداد الأولى للجود لا مجال لمشاعر العدل. فترة الإعداد الأولى هي حرب استنزاف ضد العدل.

تكمن المفارقة هنا في أن المؤلف يلقي بمسئولية مشاعر الكراهية الحالية والتي تنصدر عن الأجيال العربية القادمة على كاهل الجيش الإسرائيلي ويحمل ممارسات عناصر الاحتلال مسئولية استمرار الصراع والكراهية، كما حسم قادوش أمره مثلما حدث مع لطفل الفلسطيني فقد خلص إلى أن الهدف من فترة الإعداد الأولى هو نزع مشاعر العدل والإنسانية من المستجدين وإلا سينالون نوبات حراسة أو مهام تدريبية إضافية كعقاب. يقر المؤلف بأوجه القصور داخل صفوف الجيش الإسرائيلي ويحددها بأسلوب ساخر ويمهد القارئ لرفض استمراريتها لتضرر المجتمع كله منها، فرصد في روايته التكتيل بمدنيين

<sup>٣٦</sup> د. أفيفا أريف، المجتمع الإسرائيلي، ترجمة وتعليق د. محمد أحمد صالح، مراجعة د. محمد محمود أبو غدیر، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد ٦، ١٩٩٨، ص ٧.  
<sup>٣٧</sup> ירון יריב، שם، עמ' 59.

تقنية المفارقة في رواية الكزيبيل (الجندي الأخير)  
في ظلّ مشروع عزل بلا أيّ داعٍ أمنيّ والذي سينجم عنه كراهية وعداء تتوارثه الأجيال  
من دونها لهذا التّكوير فور تخطيها مرحلة الطفولة المبكرة، وإدراكها لما يدور حولها،  
تتميّز بروح جديدة للمقاومة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال والسياسات العنصرية  
التي يرميها من أوجه القصور الانضباط الظاهري أو الحديث عن سلام أو معايير  
التي تتجسّر. والمفارقة هي تمرد المؤلف على الأدب العبري المجدد للدعاية وهو نمط  
الذي يراهيم البحراوي معبرا عن ما "أفرزته الثقافة الإسرائيلية الهجومية من انساق من  
التي تبرز مشروع إسرائيل الهجومي وتشحن النفس الإسرائيلية بشحنة العداء العربي  
والثقافة العربية والتراث العربي كبناء. بما يشكل الموقف العقلي والنفسي للإنسان  
الذي على قاعدة الإنكار للحق العربي في الأرض والمبادرة إلى قتل العربي مدنيا كان  
سنة ٢٨.

وصف المؤلف الأوضاع المعكوسة وأبرزها أمام القارئ حين يساوي بين ما يتعرض  
للمسب الفلسطيني من عناصر قاعدة عسكرية قرب جنين وبين ما يحدث داخل ذات  
القاعدة لتكوير أفراد الجيش الإسرائيلي:

... שלמה של התעללויות קטנות, טרטורים על בסיס יומי ועונשים  
... אנתנו לא שונים בהרבה מערבי מג'נין שהתקרב עם המכונית שלו מדי  
... את הכביש.<sup>٣٩</sup>

... من عمليات تكوير صغيرة، العقاب التأديبي اليومي وعقوبات جماعية.  
... عن العربي في جنين الذي اقترب بسيارته أكثر من اللازم من المجندين  
... عبرهم الطريق.

وهكذا يمكن تفسير الحديث العرضي عن تفوق الجيش الإسرائيلي على الجيوش  
... أنها متعمدة من المؤلف بهدف خلق حالة من التوازن داخل الرواية  
... والإعلام، وحتى لا يلاحق المؤلف بتهمة الخيانة، حيث ذكر في الرواية  
... أن ينتصر على خمسة جيوش من أن ينظف مخزنا.

... البحراوي، مرجع سابق، ص ١٣.  
... ٥٥٣ ٧٧



ويتجلى من النص بشكل تنويري للقارئ أن المكان الفلسطيني قد انتصر في النهاية على الجيش الإسرائيلي وأجبره على مغادرته والابتعاد عن السكان الفلسطينيين - المقاومين باستمرار - وقراهم المحيطة، حيث تم إغلاق المعسكر في مطلع القرن الحادي والعشرين ونقل التدريبات للمستجدين لموقع آخر بعيدا عن السكان المقاومين<sup>٤١</sup>. مما يعني فشل المشروع وسقوط الفكرة لعدم قابليتها للاستمرار، وبالتالي ضياع كل الجهود والأعباء الأخلاقية والمادية التي تم بذلها على مدار سنوات في محاولات متكررة للسيطرة على الأرض ومن عليها بالحل الأمني متمثلا في بسط الجيش الإسرائيلي هيمنته على القرية ومحيطها، ويتجاوز قرار التخلي عن الأرض وتركها لأصحابها آثاره المباشرة باعتبار أن المرحلة التالية هي إلقاء السلاح والتخلي عنه طالما أنه لم يستطع التثبيت بالأرض.

وقد اختار المؤلف ٦٦٦٥ (صانور) كبلدة فلسطينية حقيقية تقع في منتصف الطريق بين جنين ونابلس تم على حدودها الجنوبية تشييد معسكر التدريب الأساسي لوحدة المظلات والذي تدور داخله قسم كبير من أحداث الرواية، وهو معسكر تم تشييده بعد حرب ٦٧ في نفس موقع للفيلق العربي<sup>٤٢</sup> وسبقه في موقع قريب تشييد مركز شرطة لسلطة الانتداب البريطاني. أما لفظ ٦٦٦٥ في اللغة العبرية فهو من يجعل العين غير قادرة على التمييز بسبب الضوء المبهر الذي يمنع الرؤية. وهو وضع وحالة مرتبطة بالتخبط والحيرة والتقدير الخاطيء للأمر، أي أن المؤلف يرى أن رؤية الإسرائيليين للقرية غير حقيقية وخادعة، وهذا حقيقي لأن النظرة التقليدية للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة قائمة على الردع والحلول القمعية التي يوفرها الجيش الإسرائيلي.

وهكذا استمر المؤلف في سرده الساخر مناهضا وجهة نظر المؤسسة العسكرية أو المتطرفين من القادة السياسيين بشكل مباشر، مكتفيا برصد التحول الاجتماعي السلبي، متمثلا في فشل الاحتلال، والبحث عن حرية الذات فيكتشف أنها مفتقدة لدى الجانب

٤٠. لامير رפפות، סוף עידן: טירוני הצנחנים עוזבים את מחנה סנור، ידיעות אחרונות، 2-11-2002 <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-1645348,00.html>  
٤١. تأسس عام ١٩٢١ بقوات أردنية وقيادة أجنبية وشارك في الحرب العالمية الثانية ثم حرب ١٩٤٨ وفي ١٩٥٦ انتقلت القيادة لضباط أردنيين استمر لفترة الاسم حتى بعد استقلال الأردن، حيث تغير الاسم عام ١٩٦٩ إلى القوات الأردنية.

تقنية المفارقة في رواية *החייל האחרון* (الجندي الأخير)  
التي تأتي بعد سلسلة طويلة من الجرائم والحقاقت، ورغم أن الاحتلال فرض إرادته وابتلع  
الأرض من عليها بالقوة، ورغم عدم الالتزام بأيّة معايير أخلاقية تجاه الآخر، يظل القلق  
والخوف من نصيب أفراد الجيش الإسرائيلي كما هو الحال بالنسبة للسكان الفلسطينيين.

وعند عقد المؤلف مقارنة هزلية بين أوضاع الجنود القائمين على الاحتلال وبسط  
هيمنة والإرادة الإسرائيلية على الأرض العربية، بمن عليها تبدو المفارقة في أن المقارنة  
مصوّمة لصالح العرب فالجيش الإسرائيلي وفق منظوره يعامل جنوده معاملة أدنى من  
معاملة العرب، بل ومن معاملة الكلاب وهو ما يمكن تلمسه في الاستشهاد التالي:

במחץ ואנחנו בלי מעילים. על כפפות וכובעי כלב אין בכלל מה לדבר<sup>٤٢</sup>.

لخص يارد في الخارج ونحن بدون معاطف. ولا أحد يتحدث عن قفازات أو قبعات الكلب.  
قد نعد المؤلف أن يذكر نوع قبعات تغطي الأذنين لأنها ملتصقة بالكلاب لوجود شبه بين  
سني الكلب وتصميم القبعة الذي يغطي الأذنين للتدفئة، فالمفارقة التي ارتكز عليها المؤلف  
تتعلق الكلاب تتلقى معاملة أفضل من معاملة الجنود وكأن الأمر فاق الإهمال ودخل في  
حيز التعذيب المتعمد.

وقد نجح الأديب في توظيف المفارقة للتعبير عن حدة الصراع الطبقي في إسرائيل  
التي يتم التعبير عنه داخل صفوف الجيش حتى ولو كان يواجه عدوا واحدا هو العرب، وله  
نصف واحد هو تكريس الاحتلال وقمع المقاومة، فنجد أنه يتحدث عن جنود يتساقطون قتلى  
بأحلام كبيرة مثل الجراد الذي يموت في القرية كل صيف دون أن يلتفت إليهم أحد (كما  
نوضح في موضع لاحق من الدراسة). في حين يتمتع القادة والساسة بكافة الامتيازات،  
سأ يعني إهدار قيمة الفرد بإجباره على التضحية بلا مقابل ودون مبرر أو ضرورة، أو  
كريم لائق بعد الموت، والصراع الطبقي واضح ومباشر أيضا في الاستشهاد التالي:

נת ברעננה תולים שלטים ברחוב הראשי בכל פעם שנגמר קורס טיס... כדי  
שההורים של הצפונים שגרים שם יוכלו להמשיך לשכנע את עצמם שהם עמוד  
השדרה של החברה הישראלית<sup>٤٣</sup>.

<sup>٤٢</sup> ינון ניר، עמ' 87.  
<sup>٤٣</sup> שם، עמ' 140.

أيضا في رعنائه يعلقون لافتات في الشارع الرئيسي في كل مرة تنتهي فيها دورة تدريب الطيارين... لكي يتمكن أولياء أمور سكان الشمال الذين يسكنون هناك من الاستمرار في اقتناع أنفسهم أنهم العمود الفقري للمجتمع الإسرائيلي.

يسخر المؤلف هنا من تكرار هذه العملية المظهرية دون أية استثناءات ولو في دورة واحدة، ويربط بينها وبين رغبة دفينية في التأكيد على تمييز أبناء الشمال عن أبناء الجنوب باعتبار أن المناطق الشمالية بشكل عام وداخل مدينة تل أبيب ذاتها أيضا أكثر ثراء وتنظيما ورفاهية في الخدمات وبالتالي المستوى الاجتماعي لقاطنيها. ونظرا لأن الكاتب يخشى الجيش ويخشى العقاب منه ومن المنظومة المرتبطة به يسخر منه ومن قبحه وفشله وعجزه تمهيدا لثورة أو تمرد جماعي عليه في أقرب فرصة. ولهذا اعتبر النقاد عمرى هرتسوج أن العمل الأدبي برمته يعد يوميات لشخصية من أصول شرقية أنت من جنوب إسرائيل<sup>49</sup>.

ويرى الأديب أن الأوضاع في الجيش ومعسكر التدريب الأولي أقرب للمدرسة الثانوية مع فترات نوم أطول فقط.. وهذا وضع معكوس تحظى فيه المدرسة بمكانة أفضل من مكانة الجيش بمعيار النشاط والانضباط، فالجندي ينام أكثر وهذا يتسق أيضا مع نقد القيادة بدلا من مدحها بعد أن اتضح أن ما يكتب عنها عكس ما يحدث على أرض الواقع: כשמפקד בצנחנים נהרג כמעט תמיד כותבים שהיה לו כושר מנהיגות ועל איך שכל החיילים הלכו אחריו לכל מקום באש ובמים.<sup>50</sup> حينما يقتل قائد من المظلات دائما تقريبا يكتبون أنه كان قياديا موهوبا، وكيف أن كل الجنود ساروا خلفه في الماء والنار.

ما ورد في هذا الاقتباس يعكس حالة الملل والضجر وكذب التمجيد والتفخيم الذي يناله الجيش الإسرائيلي في حملات دعائية منظمة من الجيش نفسه ومن متطوعين جبلا على تقديس الجيش الإسرائيلي لكونه الحصانة الأولى لبقاء الصهيونية في فلسطين المحتلة.

<sup>49</sup> גילי איזיקוביץ ، עריקים، ג'ובניקים ופוסט טראומטיים: קולה האחר של ספרות המלחמה، הארץ، 10-5-2016. תאריך העיון: 12-9-2016.  
<sup>50</sup> ינון ניר، שם، עמ' 149.

تقنية المفارقة في رواية الكييل الحارون (الجندي الأخير)  
بحارة "الماء والنار" إشارة إلى انصياع الجنود للقائد في الصعب واليسير، وأصلها من  
المزامير<sup>٦١</sup>، وفي هذا سخرية يسوقها المؤلف ليوظف تلك الفقرة وغيرها من فقرات العهد  
القديم كمقولة نمطية مكررة ثابتة تُستدعى كلما سقط قتيل من الوحدات عالية التدريب في  
إسرائيل. وكل هذه أجواء لا تساعد على التصدي للعرب أو أداء أي وظيفة قمعية ردعياً  
لهم.

يتم المؤلف إذن العرب بدون خلفات داخلية ولديهم قدرة على بث الرعب في الجيشر  
الإسرائيلي الذي نجده يسجن الشعب الفلسطيني، وفي نفس الوقت يسجن المتمردين الراضين  
للأمر أو الذين يناقشون أو ينفذون المهمة بطريقة مختلفة، ويفرق بين الجندي والضابط  
والمنتمي لمدينة ثرية والقادم من تجمع سكني فقير.

## ٢- السخرية من الإهمال واللامبالاة:

نظراً لأن الجيش الإسرائيلي يقوم على استدعاء الاحتياط ونظراً لأنه مراراً وتكراراً  
يتنكب القرارات الدولية فقد قامت الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية على قاعدة الحروب  
للخاطفة التي لا تشل المجتمع الداخلي لفترات طويلة ولا تتحدى المجتمع الدولي لفترات  
طويلة. وهذا يقتضي تأهباً وجاهزية كبيرة كشفت الرواية أنها غير قائمة وتم الترويج له  
دعائياً بشكل مبالغ فيه بهدف الردع فقط، فحين اكتشفت الشخصية الرئيسية في الرواية عيب  
خطيراً في إحدى الطائرات المعدة للاقلاع كانت ردود الأفعال صادمة فلم ينتفض أحد  
لاكتشاف سبب انعدام الرقابة الكافية والاقلاع بطائرات تعاني من خلل فني خطير:

הכנף של הפייפר עשויה מבד، ובבדיקות לפני המראה אני מבחין שיש חור בחג  
התחתון של הכנף הימנית. הוא צורח עלי שאני מתעכב יותר מדי זמן ליד הכנ  
וכשאני מנסה לספר לו על החור، הוא מגביר את הקול ומסביר לי שאין שום בע  
עם חורים בכנף، ושאני אזיז את התחת שלי ואכנס כבר למטוס. זה חור בע

<sup>٦١</sup> הרפכת אנוש לראשנו כאנו כאש ובמים ותוציאנו לרונה (תהלים ١٥٠ יב). רכבת אנאס  
רוסنا دخلنا في النار والماء ثم أدخلتنا إلى الخصب. (مزامير ٦٦: ١٢)

בגודל הראש שלי. יש לי הרגשה רעה בקשר לטיסה הזאת. המזריך הזה כל כך שמן ואני מפחד שהמטוס לא יצליח להמריא<sup>٤٧</sup>

جناح الطائرة مصنوع من الليباد، وبالفحص قبل الاقلاع لاحظت وجود ثقب في الجزء المنفلي من الجناح الأيمن. صرخ في وجهي بأنني امتلك أكثر من اللازم بجوار الجناح، وبينما أحاول أن أروي له عن الثقب، رفع من حدة صوته موضحاً أنه لا يوجد أية مشكلة في وجود ثقب في الجناح، وأنه يتوجب علي أن أحرك مؤخرتي وأدخل للطائرة بسرعة. إنه ثقب بحجم رأسي أنا. لدي مشاعر سيئة تجاه هذه الرحلة. المدرب سمين للغاية وأنا أخشى ألا تتمكن الطائرة من الاقلاع.

حرص المؤلف على أن يلجأ إلى المبالغة فذكر أن الثقب بحجم رأس إنسان ومع هذا لا يريد المدرب أن يلتفت إليه ويصر على تجاهله، وفي هذا استهتار بحياته وحياء من معه، وجميعهم قضوا ساعات تدريب متباينة كبدت الميزانيات أموالاً طائلة، فضلاً عن المخاطرة بأسلحة وعتاد الجيش إذا ما نجا عدد من ركاب الطائرة بالقفز بالمظلة قبل تحطمها. أيضاً الجسم الممتليء للمدرب يتعارض مع متطلبات هذه المهام وهذه الوحدات، مما يدل على تهرب من أداء تمارين اللياقة والشراقة في الأكل، وفي جميع الأحوال يجب تحويل هذا الشخص لمهام أخرى غير تدريب المستجدين من على متن الطائرات.. وهذا ما لم يحدث مما يعكس حالة الإهمال والفسل والتخبط الذي يسود الجيش على أرض الواقع.

ومن النتائج التي ستترتب على تكرار السخرية وإبراز صور الإهمال والتقصير غير المتوقع من مؤسسة نظامية صارمة الانضباط، هدم قدرة تلك المؤسسة على الردع أو الصمود في مواجهة الآخر، حيث نجد في الرواية رسدا لمظاهر الإهمال الجسيم الذي يؤدي لكارث وحرائق والمثال على ذلك الاستشهاد التالي:

מדי פעם אני מציץ החוצה דרך החלון..אסור להדליק אש בתוך האוהל. בקורס הקודם הייתה שריפה באחד האוהלים. הרס"ר ערך ביקור פתע במאהל, ואיזה חייל מבוהל החביא גזייה דולקת מתחת למיטה<sup>٤٨</sup>.

<sup>٤٧</sup> ינון ניר, שם, עמ' 28.

<sup>٤٨</sup> ינון ניר, שם, עמ' 20.

تقنية المفارقة في رواية החייל האחרון (الجندي الأخير)

في الآخر كنت استرق النظر من النافذة .. ممنوع اشعال النار داخل الخيمة. في  
الليلة السابقة حدث حريق في إحدى الخيام. معاون انضباط المعسكر قام بزيارة  
إلى المعسكر، وجندي مذعور أخفى موقد غاز مشتعل تحت الفراش.

في ذلك مظاهر اللا مبالة وغياب الحوار داخل صفوف الجيش الإسرائيلي سخرية  
فيها حيث أبرز الصخب بلا مبرر داخل صفوف الجيش:

בנינו מוסרים לעצמם הם צועקים מתוך הרגל ואפשר לשמוע אותם  
בחדרים.

من غير يتحاشون مع أنفسهم هم يصرخون من باب التعود ويمكن سماعهم من على بعد

وفي هذا رصد لسلوك منفر وغير حضاري بين صفوف الجيش الإسرائيلي يعكس  
موضحة، ورغبة في قمع الآخر واستخدام العنف ضده طوال الوقت.

في المؤلف وشكل صادم أن الجيش الإسرائيلي والقائمين عليه استبدلوا التضامن  
بالتفاهة والافتقار والتخاؤل والخنوع والتخاذل والافتقار بالتكاسل والأعمال

التي

לפי מה שראיתי כיום אני נראה בדיוק כמו שאר העובדים שלו. עם מטאטא ביד אני  
לפי להיראות עסוק כל הזמן. ככה זה כשאתה עובד רס"ר. אם אתה לא נראה

לפי מה שראיתי לך מה לעשות، ועבודה יש בשפע כי כולם עסוקים בלהיראות  
לפי כל הזמן ותוך כדי כך מקפידים לעשות כמה שפחות.<sup>37</sup>

لפי أيام بيوت بالضبط مثل بقية عماله. ممسكا في يدي بمكنسة أحاول أن أبدو  
لפי أنت تعامل مع معاون انضباط المعسكر<sup>38</sup>. إذا لم تبدو منشغلا

المسوحة ضوياً بـ CamScanner

مجلة بحوث كلية الآداب ١٦٦٥

على الفور سيجدون لك ما تفعله، والعمل متوافر بغزارة لأن الجميع منشغلون في أن يبدون منشغلين طوال الوقت، وبينما هم يفعلون هذا يحرصون على أن يقوموا بأقل قدر من العمل. وهكذا نجد أن التغيير السلبي سيطر على الشخصية الرئيسية، واختفت شخصيته وملامحه وسماته المميزة له عن غيره، فعمد بعد فترة قصيرة في الجيش إلى تقليد من سبقه في "التمثيل"، و"التراخي"، و"التكاسل"، و"الكذب"، و"انعدام الأمانة"، حتى وهو يؤدي وظيفة بسيطة غير قتالية ذات مظهر بائس، وهو ما يمكن اختزاله في محصلة نهائية لا مفر منها مفادها أن كل جيل قادم سيظل بعيدا عن الانضباط ومفتقدا لقيم الانتماء والإخلاص.

وعلى نفس المنوال يطلب القائد من جنوده الذين اختارهم للمشاركة في جنازة ثلاثة من الضباط سقطوا قتلى بما يوضح أن القاعدة في الجيش وطوقسه هي الكذب وأن الاستثناء بإظهار الصدق لا يحدث إلا بعد تنبيهه، وطلب، وتدريب لأنه غير معتاد:   
هوا חזר פעמיים על הביטוי אמיתית ומכובדת, ולא ברור היה אם הוא מנסה לשכנע אותנו או את עצמו<sup>٥٢</sup>.

(القائد) كرر مرتين التعبير "حقيقية" و"محترمة"، ولم يكون واضحا ما إذا كان يحاول اقناعا أم اقناع نفسه.

القصور الأكبر الذي يعاني منه الجيش الإسرائيلي هو أنه يسعى لتدريب عناصره على "المشاعر الحقيقية"، وهذا لن يتحقق لأنه بتدقيق بسيط أو بخطأ غير مقصود سيتم فضح الأمر ويتبين أنه "غير حقيقي"، و"مصطنع"، و"كاذب" ولن يثير في النفس سوى السخرية، والمفارقة هي أن القائد نفسه يبدو غير مقتنع بما يقوله لجنوده.

وللتدليل على كثرة الأخطاء نتيجة الإهمال وتكرار الحوادث بشكل روتيني سخر الأديب من سلوك المسؤولين عن مواقع حساسة في الجيش الإسرائيلي، حيث يؤمنون معدات بمبالغ ضخمة يستقلها أفراد تتعرض حياتهم للخطر دون مبرر أو طائل:

"תאר לעצמך מה היה קורה אם הטכנאי בדיוק היה הולך להשתין בזמן שאתה בדק את המטוס. אתה יודע כמה טפסים אני הייתי צריך למלא אחרי שהמטוס

...אחד כך עוד הייתי צריך ללכת אליך הביתה ולהסביר לאמא שלך שאתו  
...שנבקרס טיס משאירים מטוסים עם חורים בכנף ליד מטוסים תקינים<sup>3</sup>  
...מאן כן מוכרח לזאב אחר הפני بالذات أن يذهب للتبول أثناء فحص الطائرة. هل  
...كم اضطر لاستيفائها بعد أن تتحطم الطائرة... وبعد ذلك أيضا كنت  
...للذهب إليك في البيت وأن أشرح لأمك أنك قتلت بسبب أنهم في دورة تأهيل  
...طائرات بأجنحتها تقوب بجوار طائرات سليمة

سخرية خضنة يعبر المؤلف عن فجاجة وفضاظة القائم على التدريب في موقع  
...من الجيش الإسرائيلي (موقع عالي التدريب والإمكانيات يتطلع إليه كثيرون)، كما  
...استهانة المدربين والفنيين كذلك بحياة البشر، فما يشغل المدرب هو كم الاستثمار  
...لمنحتها بعد سقوط طائرة بسبب الإهمال والتغيب عن الخدمة من جانب  
...التي بها خلل جسيم ظاهر يمنعها من الطيران بجانب الطائرات القادرة على  
...الفجاجة أيضا في الاستهانة بمشاعر الأم التي يرى أن شر  
...ارهاق وصداع لا يطاق.. وكان الحادث الأصلي وهو فقدان العائلة لأغ  
...روتيني لا يجب الوقوف أمامه أو حتى التعبير عن الحزن والتضامن  
...وأنه هو شخصيا شريك في هذا الإهمال والتقصير. والمفارقة هنا هي أ  
...القرار في الجيش الإسرائيلي يعلن بلا مواربة أنه عند المقارنة بين أغ  
...الإسرائيلي (وهو حياته) بشيء تافه (وهو استيفاء المسئول لبعض  
...لشرح ملابسات الحادث لأسرة الجندي عند موته) ستكون بلا شك ؛  
...الإسرائيلي مما يعكس دونيته لدى قاداته، واختلال سلم الأولويات لدى  
...الجيش الإسرائيلي.

تطورت السخرية لتتال أيضا من معايير الانتقاء لعناصر الجيش في وحد  
...وتدين منظومة التقييم خلال وبعد عمليات التدريب الأولي:



أني لا מצליח לעשות אף תרגיל כמו שצריך. ברגע שאני מתחיל את התרגיל הוא ישר מפריע לי...לא חשבתי שיש לי הרבה סיכוי לשרוד את הצ'ק עשר<sup>٥٤</sup>.

لا انجح في أداء أي تدريب كما ينبغي. في اللحظة التي أبدأ فيها التدريب مباشرة أشعر بالانزعاج من التدريب..لم اعتقد أن لدي فرصاً كبيرة للسمود حتى الاختبار العاشر.

مستعينا بتكنيك الخلط بين اللغة المعيارية ولغة الشارع للفت الانتباه ولنقل الأجواء التي يعيش فيها المجندون في معسكرات الجيش عبر الكاتب عن الأوضاع المقلوبة وغير المنطقية والانتقاء الخاطيء والإصرار عليه في مواقع حساسة والذي من شأنه أن يؤدي إلى كوارث كما ورد أيضا في الاستشهاد التالي:

בטיסה הראשונה אני בקושי מוציא את הראש משקית ההקאה<sup>٥٥</sup>

"في الطلعة الجوية الأولى أخرج رأسي من كيس التقيوء بصعوبة".

عكس درجة التدني التي وصل إليها الجيش الإسرائيلي إبراز الأديب أن الإهمال والتقصير أيضا تمثل بجلاء في نجاح متدرب لم يكن يشاهد التدريبات..لكونه دوما يتقياً في الكيس المخصص لذلك..ولم يكن يتابع أجهزة اللاسلكي، ولم يعر الاختبارات العملية ورحلات الطيران مع المدربين أي انتباه، وكان طوال الوقت يدرك أنه لن يجتاز التدريبات ولن يصل للمستوى العاشر، ومع هذا نجح في كل الاختبارات حتى الاختبار الخامس عشر.. في المقابل نجح المتفوق أيضا الواصل من نفسه الذي يعتبر نفسه ويعتبره الآخرون "مولود طيار"..لكنه أصر على التنازل عن الدورة وعدم اكمال المسيرة! وهذا يدل على أن التقييم ومعاييره خاطئة، حيث تساوى المجتهد الموهوب الملتزم بغير القادر الذي كان ينتظر استبعاده من الوحدة<sup>٥٦</sup>.

يعري الكاتب -بأسلوبه الساخر- منظومة العمل في الجيش ويكشف أنها تعتمد

على التهرب من المسؤولية والعمل:

<sup>٥٤</sup> ינון ניר, שם, עמ' 30.

<sup>٥٥</sup> שם, עמ' 27.

<sup>٥٦</sup> שם, עמ' 31.

تفتية المفارقة في رواية الحويل الاحزون (الجندي الأخير)  
أخري عشر دקות هم البولكيس لكنوات كوله بمكونت  
شعيرت وخريرت اخري شعه وخرتي. بدويك بزمن لكنت لاروحت خهريي. هفسكه سل  
شعيرت هخرت هخرت شلهم كبر كمرع نغمر. ايئت ايشره لهم لعات בשلوش<sup>٥٧</sup>.

مسؤل النظافة والانتضباط في المعسكر، وأيضا الملحقون. بعد عشر دقائق يذهبون  
لأكل من ماكينة المشروبات ويعودون بعد نصف ساعة. بالضبط في وقت الذهاب  
وجه الغاء. استراحة لمدة ساعة بعدها يكون يومهم تقريبا قد انتهى. فقد صرحت  
باجت (سكرتيرة القائد) لهم بالخروج في الثالثة.

أي أن المحسوبة نتيج للجميع أن يتهرب من المسؤولية طالما اختفى المسئول عن  
تصرف على عمله وطالما لديه علاقات ومصالح مشتركة مع مسئول فاسد عن مواعيد  
التصرف. وكل ما سبق يعد هجوما على الجيش الإسرائيلي يستهدف النيل من هيئته  
بصرف تميذا لاقناع الرأي العام بالتمرد عليه لعدم جدواه، وكذب الصورة التي تم الترويج  
بها عن منار العقود الماضية عن قدراته وانضباطه.

### ٣- السخرية من فشل جهود التطوير:

لم يتخيل قادوش أن الخدمة العسكرية إلى هذا الحد تتسم بالتخبط، والتدني،  
بفشل، والنشل، لذا نجده يبحث بلا جدوى عن نقطة انطلاق لحل مشكلة التباين الفج بين  
الحقيقت والفجوات في المجتمع الإسرائيلي وبالبحاح يقدم العمل الأدبي رؤية مفادها أنه لا  
يعد في تغيير الجيش كما لا أمل في إحياء "المخزن" المطلوب تنظيفه وإعادته للعمل  
بالمقادة منه بناء على أوامر القادة<sup>٥٨</sup>، فحين تحول قادوش لقائد مسئول عن أربعة مجندين  
وحوال أن يطور الأداء ويسمح ببعض المرونة قابله رفض ذاتي من المجندين أنفسهم:  
يستمع خعيريس مماني بفחות مشنه. هم مستكليم عليي بدويك كمو شانحنو  
للمفكدي عل المفكدي نير وهامفكدي أوردن.

٥٧- ٤١، شس، عم' 41.

٥٨- السخرية من تفشي  
موضوع لاحق من الدراسة تحت العنوان الفرعي: "٤- السخرية من تفشي

ד/אחמד فؤاد أنور

אני מתאמץ לא לצחוק. "אתם לא צריכים להציג את הנשק".

"כן המפקד".

"וגם אין צורך בהקשב".

"כן, המפקד".

"אתם לא צריכים לקרוא לי המפקד".

"כן המפקד".

"אני לא המפקד שלכם".

الجنود الأربعة أصغر مني بأقل من عام. هم ينظرون إليّ بالضبط كما نظرنا إلى القائد

"نير" والقائد "أورن".

أنا أجاهد لكي لا أضحك. "لستم في حاجة لعرض سلاحكم".

تمام يا قائد.

وأيضاً لا حاجة لمخاطبتي من الوضع "صفا".

تمام يا قائد.

لستم في حاجة أيضاً لأن تتادوني بالقائد.

تمام يا قائد.

لست قائدكم.

"צריך להציב שמירה על הביתן בלילה, המפקד?"

"לא אין שום סיבה".

"כן המפקד".

"אתם יכולים לקרוא לי קדוש".

"כן, המפקד קדוש".<sup>9</sup>

هل يجب وضع حراسة على العنبر ليلا يا قائد؟

لا لا يوجد أي مبرر.

<sup>9</sup> ינון ניר, שם, עמ' 154.

داود القائد

بشرى قائدوني "قادوش"

داود القائد قادوش

محاولة التغيير جاءت بالفشل فحتى حين قال لهم: أنا لست قائدكم انتظروا منه  
 عصاة وأمر... وحين قال لهم نادوني باسمي لصقوا قبله كلمة "القائد"!! مما يعني أن  
 مصورة عصبية على التغيير حتى ولو أتى هذا التغيير من القيادة ذاتها. وهنا يؤكد المؤلف  
 في معرض لفضاح من القائمين على تدريبيه، بعد أن خدعه الطباط المتقاعد وأقنعه في بداية  
 الرحلة بالانضمام للجيش كإبوة مضمونة للولوج لتحقيق الأحلام له ولأسرته وبلدته  
 من خلال النظر هو وقوع المجندين الجدد ممن أشرف هو على تدريبهم وحاول تغيير  
 صورة بلا جنوى في نفس الفخ.. فالجديد يصرون على انتظار الأوامر منه ومناداته  
 مرة عسكرية، رغم أنه أكد لهم أنه ليس بقائدهم ويفضل أن ينادوه باسمه  
 (بشرى) مجرداً، أي بطريقة مدنية في التعامل، مع ملاحظة أنه في معسكرات الجيش -  
 كما في السجن- يتم كثيراً النداء والتعامل بعيداً عن دلالة اسم العلم. واختفاء اسم العلم له  
 دلالة عظيمة أن العام أهم من الخاص، بل وأن الخاص تدني لدرجة التماهي مع الغير  
 الكمال.

الخصية الرئيسية في الرواية אליאב (الياب) شقيق داود الأكبر (من تفسيرات الاسم  
 الرب هو الأب<sup>1</sup>) مما يكسبها قداسة وزهداً في المناصب القيادية، فقد  
 بالاضافة ليكوريته أطول وأكثر وسامة من داود، ومع هذا رفض الرب رغبة والده ورغبة  
 صويل في أن يكون هو الملك القائد. ومن التفسيرات أن يكون الاسم مرتبطاً بقائد  
 الذي سبق أسباطاً أخرى في تقديم قرابين للهيكل<sup>1</sup> واسم عائلة الشخصية  
 في الرواية קדוש (مقدس) وهكذا نجد أن "قادوش" القادم من الضواحي الفقيرة

העיון האחרון <https://mazaltov.walla.co.il/newbornnames/item.aspx?objectid=21-6-1017>

אל-תבט אל-מראהו ואל-גבנה קומתו--כי מאסתיהו" ספר שמואל  
 א' פסוק ז' فقال الرب لصموئيل: لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنني قد رفضته.  
 (سفر الأول 16: 7)

الهائلة البريئة نسبيا. يتشبت بهذا الاسم رافضا أن يكون مجرد رقم أو جزء من مأكلة ضخمة يتم استدعاؤه أو الإشارة إليه بالاختصار "ق"، وفي هذا تمرد وهدم لمنظومة المؤسسة. وعلى هذا يكون قادوش "المقدس" لأنه البطل الخارج عن المجموع العسكري ولأن تمرد هذا يمنحه قداسة، ويمكن أن يعكس الاسم أيضا مظاهر النقد الطبقي لكون صاحب من أبناء المهمشين الذين لم يخدموا في القوات الخاصة، حيث نجح في الوصول إلى تلك القوات بشكل فريد وغير مسبوق على مستوى التجمع السكني الذي يقيم فيه في جنوب إسرائيل، ولذا يعد رائدا أو حتى نبيا وسط منطقته لعله يقودهم في وقت لاحق إلى الوصول إلى مكانة متميزة في الجيش مما يكسبه قداسه ويجعل له نصيبا من اسمه.

وهنا استخدم المؤلف في المفارقة تكنيك (عكس السلوك النموذجي أو المتوقع)، مبالغا في تصوير الحماسة بطريقة كاريكاتورية تبرهن على أنه لا أمل في الإصلاح التقليدي، ومن ناحية أخرى يرفض يرفض المبالغة في قوة "الجيران" من المدنيين الفلسطينيين وحجم خطرهم ويوجه جنوده بعدم وضع حراسة على العنبر وهم ينفذون الأمر دون نقاش، وعلى نفس المنوال جاء في الاستشهاد التالي:

יש מטבח מרכזי ובכל מקום מגישים את אותה פסולת. מקפידים שהמזון יהיה שומני, דביק ומגעיל, וכדי שהחיילים לא ישימו לב שהטבחים שרפו את האורז. מכסים את האורז, בפתיתים או בפסטה, ומוסיפים עוד שמן<sup>11</sup>.

يوجد مطبخ مركزي وفي كل مكان يقدمون ذات النفايات. يحرصون على أن يكون الطعام غارقا في الزيوت، لزجا ومقززا، ولكي لا ينتبه الجنود إلى أن الطباخين حرقوا الأرز. يغطونه بمعجنات<sup>12</sup> أو بمكرون، ويضيفون المزيد من الزيت.

تعكس السخرية سياسة التماهي في الخطأ التي يتبناها الجيش الإسرائيلي بشكل كاريكاتيري يبرز المؤلف أن عملية حيوية ويومية هي عملية التغذية تتم بطريقة متعجلة

<sup>11</sup> יטון ניר, שם, עמ' 174.

<sup>12</sup> يطلق عليها أيضا "ارز بن جوريون" وهي وجبه شاعت في إسرائيل في فترات الأزمات الاقتصادية بعد قيام الدولة، أي أن الأديب قرر استدعاء فترات عصيبة من تاريخ إسرائيل وكأنها لا تزال مستمرة.

<http://www.morfix.co.il/%D7%A4%D7%AA%D7%99%D7%AA%D7%99%D7%9D>  
2016-10-11 עיון במאריך

تقنية المفارقة في رواية الكويلل האחרון (الجندي الأخير)

من الخطأ لئلا بدلا من معالجته، رغم أن الحل بسيط وهو الانتباه لاغلاق الموقد قبل  
تحويله، حيث يوضح الكاتب أن الأخطاء تراكمية وتولد مزيدا من الأخطاء. هذا مع  
التفكير في الصراع الطبقي في إسرائيل وانعكاساته على الجيش الإسرائيلي ففي الجيش  
من جهة، ومحروقي، لكن يمكن توقع أن الضباط والقادة يتم تمييزهم بطعام أفضل، حيث  
من جهة أخرى، لطعام الجيدة عليه لافتة مدون عليها "للضباط والقوات النظامية فقط"،  
التي هي لطفة الأضعف الذي يعاني من تكرار نفس الخطأ ثلاث مرات يوميا على  
مر سرت ضمه، حيث يتم إجباره على تناول "نفايات" دون خوف من شكواه أو تدمره،  
حتى لا يفت أحد لإصلاح الخطأ مستقبلا.

ويؤثر بالسلب أيضا على جهود تطوير الجيش الإسرائيلي رفض خصوصية الأفراد

حقيقهم وتوعيم حيث يقول المؤلف:

... של הטבח (...)  
... שבת כל אחד רובץ בפניה שלו ובורח לתוך רסיסי העולם הפרטי שלו.  
... משהו מהחיים שהיו לו לפני הצבא<sup>1</sup>.

... الوضع لكي نغافل الطباخ ونستولي لأنفسنا على شرائح لحم (...) حينما نبقى  
... الخبز في اجازة يوم السبت كل منا يريض في ركنه ويهرب لداخل شظايا عالمه  
... يحاول أن ينقذ شيئا ما من حياته قبل الجيش.

يحدث المؤلف عن السرقة بشكل تلقائي وكأنه أمر مبرر ومعتاد في صفوف  
الجيش الإسرائيلي، والمفارقة تتمثل في أن النص يقر بأن الجيش يقضي على الميول  
النفسية ويحطم كل ما هو شخصي وإنساني وفي المقابل يحاول المجند أحيانا أن يللم  
الشظايا أو استعادة ملامحه وميوله.

أثرت الدعاية بلا شك في الرأي العام الإسرائيلي إلى حد بعيد ومن مظاهر ذلك ما  
نجدته في رواية من تعليق لافتات للافتخار بدخول أحد أبناء بلدة أو تجمع سكني سلاح  
محلي أو الوحدات الخاصة، وهو ما دغدغ به القائد السابق مشاعر وأحلام الفتى الصغير:

1988, 88.

אתה רואה סיבה שלא תהיה טייס? או לוחם בסיירת? או צנחן? שבעוד כמה שנים כשאני אסע בכורות אני לא אראה שלט שתלו לכבודך?<sup>10</sup>

هل ترى أي سبب يمنعك من ألا تصبح طياراً؟ أو مقاتلاً في القوات الخاصة؟ أو مظلياً؟ وإلا أرى بعد بضعة سنوات حين أتجول في بخורות لافتة قد تم تعليقها من أجلك؟

والمفارقة هنا هي سرعة اصطدام هذه الصورة الوردية الاصطناعية الملفقة بواقع تجاوزها، بل صار على النقيض تماماً من تلك الصورة الخيالية، حيث يبدو أحد أعضاء الدورة التدريبية للإعداد للطيارين المقاتلين مصراً على التنازل عن استكمال الدورة إذا لم يتم استبعاده في التصفيات الأولية، رغم الحاح من حوله عليه لكي يستكمل الدورة. بينما يتضح أن التدريب الأولي لا يدعو إلى الفخار بأي شكل من الأشكال، وقد اختار المؤلف בכורות بخורות كمكان مجهول حتى للشخصيات الرئيسية في الرواية<sup>11</sup> ويمكن ربط الاسم بمكان בכורות (ضربة البواكير) الواردة في سفر الخروج كآخر ضربة من الضربات العشر ضد فرعون. وهي الضربة القاصمة لأن موت البواكير هو قتل للحياة بقتل التجديد والمستقبل فيها، وتصفية الجيل الأقرب لحمل الراية من الجيل الحالي، وقد حرص المؤلف على أن يجعل موقع هذا التجمع السكني في جنوب إسرائيل وهي المنطقة الأكثر فقراً والأقل في توفير الخدمات لها مقارنة بالأوضاع في شمال ووسط إسرائيل<sup>12</sup>. وقد بدأ الحدث والسرد في بخורות وانتهى في بخורות أيضاً وكأنها دائرة اكتملت.

"עידו אומר שהוא לא שינה את דעתו והוא עדיין מתכוון להתום וויתור במקרה שלא יעיפו אותו

قال عيدو إنه لم يغير رأيه وأنه لا يزال يعتزم التوقيع على تنازل إذا لم يقوموا باستبعاده  
أم يعزوب את הקורס עכשיו... במקרה הטוב הוא יסדר קלסרים או יענה לטלפונים  
במקרה הרע יטאטא כבישים ומדרכות או יאסוף עלים מבוקר ועד ערב<sup>13</sup>

<sup>10</sup> שם، עמ' 13.

<sup>11</sup> שם، עמ' 176.

<sup>12</sup> <http://www.themarker.com/career/1.285495>

<sup>13</sup> ינון ניר، שם، עמ' 18.

تقنية المفارقة في رواية החייל האחרון (الجندي الأخير)  
منذ ان من استكمال الدورة في أحسن الأحوال سيقوم بترتيب ملفات بلاستيكية ويرد  
في الاتصالات الهاتفية، وفي أسوأ الأحوال سيكون طرقات وأرصفة أو يجمع أوراق الشجر  
في الصحاح للبناء.

برز المؤلف هنا أنه على الرغم من الهالة الدعائية المبالغ فيها حول قدرات  
الجنود وطبيعة تدريبهم وطبيعة المهام فإن الأمر يمكن أن تنفذه فتاة صغيرة محدودة  
المعرفة الجسمانية، وبشكل لا يمثل مخاطرة أو بطولة أو تهديد، فقط ملك وروتين. وقد  
سواء الأمر لوظائف ومهام كناسين ومنظفين في الطرقات! ويمكن تصنيف العمل على هذا  
نوعه أنه ساخر ينتمي للواقعية الجديدة<sup>٦٩</sup>.

سأهم في عدم تطور الجيش الإسرائيلي واليأس من تقدمه إلى حد كبير ما يكشفه  
موقف بستان توريت المناصب ففي سلاح الطيران وهو سلاح حساس ويتطلب انتقاء من  
مستوى عالٍ معياره مسموح لقدامى العاملين بتعيين أبنائهم وبناتهم حسبما ورد في الاستشهاد

בבית ששן וצבא חמושים עובדי צה"ל ששירתו בחיל האוויר זכאים להביא לחיל את  
בנותיהם לשלום שלהם.<sup>٧٠</sup>

وحتى رجال قوات الخدمة الدائمة والمدنيين العاملين بالجيش الإسرائيلي الذين خدموا في  
شبه الضواحي أن يعينوا أبنائهم وبناتهم.

وهكذا نرى أن التوريت من أسباب تفشي الإهمال وتردي الأوضاع في الجيش  
الاسرائيلي بشكل لم يعد يجدي معه نفعاً، مما يجعل السعي لحلول إصلاحية جزئية محكوم  
بالفشل، حيث يتم توريث المواقع الوظيفية فيه على حساسيتها مما يعني أن اختيار  
الطيار على الإطلاق لم يعد متاحاً، بل يتم الاكتفاء بالأفضل من بين من لهم حيئية أو

<sup>٦٩</sup> الواقعية الجديدة مدرسة أدبية انطلقت في فرنسا عام ١٩٦٠ وبرزت في إسرائيل في السبعينات  
من طاعت الواقعية التقليدية من تحولات تاريخية وسياسية واجتماعية سريعة. نأ لعايין: גרשון  
הירש, מציאות העברית 1880-1980, הקיבוץ המאוחד, 1993, כרך ٦. עמ' 10-14.  
עמ' 21.



## ٤- السخرية من تفشي الفساد:

يميز العمل الأدبي تمرد كاتبه على الرسم التقليدي لشخصية المجند والضابط الإسرائيلي، فنظرا لأن الاختيار والتدريب غير قائم منذ البداية على أسس سليمة مانت الضمائر واستشرى الفساد وإذا ما أضفنا إلى هذا سخرية الأديب أيضا من الروتين والرتابة نخلص إلى نتيجة مفادها القضاء على كل أمل في التطور المستقبلي.

ومن صور الفساد التي وظفها الكاتب للسخرية من أوضاع الجيش مفارقة التلذذ بتعذيب الزميل أو المرؤوس بحجز تصاريح المرور خارج المعسكر..والاكتفاء بمراقبة الجنود المحتشدين في الانتظار لكي يحصلوا على تصريح أجازة لبضع ساعات كما يتضح لنا من الاستشهاد التالي:

كדי שכל מי שרוצה לצאת מהבסיס יאלץ לעבור דרכו. למי שאין קשרים קשה מאד להשתחרר לפני הזמן<sup>٧١</sup>.

حتى يضطر كل من يريد الخروج للعبور من خلاله. لمن ليس له علاقات من الصعب للغاية أن يخرج قبل الموعد.

رוב הזמן הוא רק מדבר בטלפון ומביט בנו, וגם הפקידה שלו מסתכלת החוצה ומחייכת. את הפסים של החברים שלה היא מחזיקה אצלה במגירה. היא הוציאה אותם מהמשרד שלו כשהרס"ר יצא לארוחת צהריים. ככה זה<sup>٧٢</sup>.

أغلب الوقت هو فقط يتحدث في التليفون ويتطلع إلينا، وأيضا الموظفة التي تساعده تنظر للخارج وتبتسم. تصاريح أصدقائها تحتفظ بها في درج. هي تخرجهم من المكتب حين يخرج مسئول النظافة والانضباط في المعسكر لوجبة الغداء. هكذا الأمر.

يعبر الأديب في الاستشهاد السابق عن الفساد المتبجح وهو أمر يزيد احتقان وغضب عناصر الجيش الإسرائيلي فالجميع ينتظر حقه في مغادرة الوحدة العسكرية بعد انتهاء مهمته، ومع هذا يتم تعطيل من لا معارف له أو شبكة مصالح كنوع من التلذذ

<sup>٧١</sup> ינון ניר, שם, עמ' 38.

<sup>٧٢</sup> שם, עמ' 38.

تقنية المفارقة في رواية الحليل האחרון (الجندي الأخير)  
بالتعذيب، وربما يكون استثناء المعارف والأقارب أمام الجميع ودون خجل هو أيضا درجة  
من درجات التعذيب والإهانة والسخرية من بقية المجندين الذين لا حماية لهم.

מיידיה ، אחד מעובדי הרס"ר ، אומר שאם אני אשאר בתל השומר מספיק זמן גם  
אני אשתלב בסידור הזה שלה "אתה בחור נאה ، מספיק שתשב איתה פעם במשרד  
והספר לה על קורס טייס..." הוא צוחק<sup>٧٣</sup>.

بيندا وهو أحد عمال مسئول النظافة والانضباط قال إنني إذا بقيت في تل هشومير وقتاً  
كافياً سأندمج في ترتيبها هذا وقال وهو يضحك: أنت شاب وسيم، يكفي أن تجلس معها مرة  
في المكتب وتروي لها عن دورة إعداد الطيار ...".

الأمر مفضوح هنا للجميع فمن لا علاقة له ولا توجد من خلفه مصلحة ما أو  
مكتب شخصي ويمكنه أن يقدم المقابل للتمييز الإيجابي هو أو معارفه سيضطر للمكوث  
بلا أي عمل، أمام مكتب شخص يزعم أنه مشغول ويمنع التصاريح ويعطلها، رغم وجودها  
جاهزة في حين يتم تمرير التصاريح لمن لديه علاقات.. بما يهدم أبسط مبادئ المساواة  
والعدالة والإنسانية.

وعلى نفس المنوال اختار المؤلف أن يفضح الممارسات الفاسدة داخل صفوف  
الجيش الإسرائيلي وبشكل مباشر أقر ببعض مظاهر المحاباة في هذا الجيش موضحاً أن  
الحصول على بندقية مخصصة للقادة أو لعناصر القوات الخاصة، متاح أيضاً كاستثناء  
لبعض الجنود كمظهر من مظاهر الوجاهة الاجتماعية إذا كانت لهم محسوبية:  
נדי להשיג קת כזאת אתה חייב להכיר מישהו ביחידה מובחרת או שיהיה לך  
קשרים בנשקייה<sup>٧٤</sup>.

כי تحصل على مؤخرة بندقية<sup>٧٥</sup> مثل تلك يجب أن تعرف شخصاً ما في وحدة من وحدات  
النخبة أو يكون لك علاقات في مخزن السلاح والنخبة.

<sup>٧٣</sup> ינון ניר، שם، עמ' 38.

<sup>٧٤</sup> שם، עמ' 83.

<sup>٧٥</sup> يتم توزيع بنادق بمؤخرات حديدية للأقل شأنا في الجيش الإسرائيلي ووفقاً لخامة المؤخرة وطول البندقية  
الطرازها بشكل عام يمكن تمييز القادة وقوات النخبة.

وسبب انتشار الفساد من وجهة نظر المؤلف هو غياب الردع وتفشي الفساد في المستويات الأعلى أيضا كما يتضح من الاستشهاد التالي:

בבית דין לבאי השופטים מחמירים במיוחד כי הם לא רוצים שחיילים יבקשו להישפט מחוץ ליחידה.<sup>٧٦</sup>

القضاة في المحكمة العسكرية يغلظون العقوبات بشكل خاص، لأنهم لا يريدون أن يطلب الجنود المحاكمة خارج الوحدة.

الحديث هنا عن ظلم بين يقرر الجندي إثره أن يلجأ للمستوى الأعلى للانصاف فيصطدم بأنه تضرر وليس العكس من هذا التصعيد أو هذه الشكوى، حيث تتكاسل منظومة العدالة بدورها عن العمل بعد أن انتقلت لها العدوى وتعاقب الضحية حتى لا يقتدي به زملاؤه وبالتالي تزيد القضايا التي ينظرونها وعلى هذا يزيد العمل..وهنا ينسف الأيب المنظومة ويهدم الهدف الأساسي منها وهو خلق إنسان جديد بتعليم النشء وتدريبهم على الطاعة وإكسابهم مهارات وقدرة على التحمل، فهو لا يرى أن الجيش فشل في مهمة أو معركة أو لم يكن عادلا شريفا في حرب ضد عدو، بل فشل في أن يحقق العدالة لعناصره مما سيدفعهم بالتدريج للكفر به والتمرد عليه.

غياب العدالة والنزاهة وتفشي الفساد جعل الجهود تتركز حول سيل تكريس الخداع وإدارة الفساد واستتباط قوانين منظمة له في صفوف الجيش الإسرائيلي بداية من عدم الالتزام بأعمال النظافة حتى أبسط مظاهر التعاون مع الزملاء فالقاعدة الذهبية للتعامل مع الوضع الحالي في الجيش الإسرائيلي هي:

צריך לעזור כמה שפחות ולהראות כאילו שאתה עוזר כמה שיותר.<sup>٧٧</sup>

يجب أن تساعد بأقل درجة ممكنة، وتبدو كما لو كنت تساعد بأكبر درجة.

وهذا يؤكد أن الصورة والأوضاع التي يبدو عليها الجيش الإسرائيلي مزورة وغير حقيقية، مما يترتب عليه سقوطه في أي اختبار قادم. التزوير والفساد يتم رصده في تمثيل ما هو غير حقيقي أمام عدسات الكاميرات فنظرا لأن التليفزيون سيصور اختلافات التوجيهات والمظاهر

<sup>٧٦</sup> ش.م، عم' 43.

<sup>٧٧</sup> יגון ניר, ש.מ, עמ' 31.

تقنية المفارقة في رواية الحزيبيل الحارون (الجندي الأخير)  
انخرجة أيضا، فحتى لا يتم اكتشاف أن القائمين على الحدث مستجدون يتم منحهم "بيريه"  
بأن مبرز للمجندين القدامى:

כי שלא נראה כמו טירונים בטלוויזיה אפילו חילקו לנו כומתות אדומות.<sup>78</sup>

خی لا نبو مثل المجندين المستجدين في التليفزيون وزعوا علينا بيريات حمراء.

وفي هذا نفاق، وكذب، وتعايش مع التروير وهو مناخ لا يصنع في النهاية إلا  
لوهج ولا يؤدي إلى أي تقدم مستقبلي على أرض الواقع.

وحسب المؤلف فإن المؤسسة العسكرية تقلل من معدلات ذكاء عناصرها فالعسكري  
إذ كانت رتبته (في مقابل المدني) بلا عقل أو بعقل في حالة جمود:

ורס"ר המום. הוא מגרד בראש, מתחת לכומתה, כדי להפעיל את המוח שלו כאופן  
הנ"י<sup>79</sup>

سئول انضباط المعسكر مصدوم. يحك بأصبعه رأسه من تحت البيريه، لكي يشغل عقله  
بشكل يدوي.

حين تحل ملمة أو أزمة والوقت ضاغط حين تهرب أفراد من أداء مهمة يعلق عليها  
تلك القاعدة رضاه أو غضبه الكامل على المعاون المكلف بأمر الجنود والإشراف على  
تفويض هذه المهمة ويجد ضابط الصف المسئول عن الانضباط والمهمة نفسه مضطرا  
لشغل عقله وإعماله فقد اختار المؤلف أن يكون الوصف والإسقاط مباشرا.

وعن فشل محاولات التطوير باستعادة التراث وتطويع التاريخ لخدمة السياسات  
المخططات الزاهنة جاء في الاستشهاد التالي:

טמן שהם עובדים במחסן הם עושים בעיקר נזק. אין להם מושג איך מנקים במקום  
אחזביא את הלכלוך הם ריכזו ערמה ענקית של אשפה ליד דלת הכניסה, במקום  
לזר בולט<sup>80</sup>

<sup>78</sup> שם, עמ' 85.

<sup>79</sup> עין ניר, שם, עמ' 42.

<sup>80</sup> שם, עמ' 41.

وبينما هم يعملون في المخزن هم يقومون بشكل أساسي بعمل ضار. ليست لديهم فكرة كيف يتم التنظيف، بدلا من إخفاء القذارات جمعوا كومة ضخمة من القمامة بجوار باب الدخول، في أكثر الأماكن ظهورا.

ربما يرمز "المخزن" المشار إليه هنا إلى تاريخ اليهود، وربما يكون المخزن هو الهوية ومجموع الذكريات المنسية، وعلى هذا يكون الفشل في إعادته إلى حالته الأولى أو جعله مقبولا ويؤدي دوره بأن يتولى الجيش الإسرائيلي بالقوة إحياء التاريخ أو استنساخه، قد أضاف عطناً بعد أن ثبت أنه قد تجاوزته الأيام.. فلم يكن حصاد محاولة التنظيف سوى تكبد مزيد من خسائر.

المخزن العطن ومهمة تنظيفه أو إحيائه أو جعله قابلا للاستخدام المعاصر مهمة فشل فيها الجيش الإسرائيلي متمثلا في قائد القاعدة ومساعدته المدير التنفيذي ضابط الصف وبالطبع الجندي الذي أوكلت له المهمة بعد أن تهرب الجميع من مساعدته كما تهرب أغلب اليهود في العالم من العودة لإسرائيل بحجج مختلفة.. فحين اتصل الجندي وسكرتيرة المدير التنفيذي ضابط الصف بالجميع للعودة للمشاركة في المهمة قال من ردوا على الاتصال إنهم كانوا سيعودون بكل تأكيد للمشاركة لكنهم استخدموا جميعا لفظة 734 (لكن) وتحججوا بحجج كثيرة برروا بها عدم القدوم والمشاركة. وهنا يمكن أيضا ملاحظة الحاح وتكرار المؤلف لفكرة ومبدأ أن عمل المنظفين هو "إخفاء" القاذورات وليس التنظيف بما يعني أن المخطط يسيء للتقديم (التراث) وللجديد (مخططات الجيش) على حد سواء.

ويمكننا هنا المقارنة بين تهرب الجميع من التعاون مع بعضهم، أو بشكل أدق رفض الأغلبية لفكرة العمل على تنظيف المخزن أو العودة للتاريخ والعمل على إحياء مراحلهم وملابساته وبين رفض قطاع عريض من يهود العالم الهجرة لدولة اليهود كما يروج لها أو الدولة الصهيونية التي توفر حلا للمسألة اليهودية<sup>٨١</sup>.

<sup>٨١</sup> عام ٢٠٠٢ كانت عدد يهود العالم نحو ١٣ مليون من قبل منهم العيش في إسرائيل كان نحو ٥ مليون فقط أي أن الأغلبية رفضت الهجرة، رغم أن فتح أبواب الهجرة أمام كل من يرغب، وهو ما استمر حتى ٢٠١٥ فأكثر من ٦٠٪ من يهود العالم، البالغ عددهم نحو ١٦ مليون نسمة، يرفضون الهجرة إلى دولة اليهود

تقنية المفارقة في رواية الحويل الاحمر (الجندي الأخير)  
الجندي الأخير - قانوش - كان الوحيد الذي استمر في مهمته أصابه اليأس في

بشعة שלי. בשעה שלוש הוא נראה בדיוק כמו שהוא נראה בשעה שמונה  
עד סוף השירות שלי، לא יהיה לי מספיק  
: השניות אותן השניות מביטה בי מכל הכיוונים וצוחקת<sup>82</sup>.

وقد بدأ في الساعة الثالثة بالضبط كما بدأ في الساعة الثامنة  
حتى لو بقيت في المخزن ثلاث سنوات، حتى نهاية خدمتي، لن يكون الوقت كافياً  
لنظن يتطلع إلى من كل اتجاه وهو يضحك.

والخلاصة في هذا الصدد أنه لا أحد يعاون في إحياء المخزن أو جعله قابل  
للاستخدام الأدمي وأي جهد يُبذل في محاولة تنظيفه أو جعله مقبولاً في عصرنا  
في جهود بلا طائل وبلا نتائج. وعلى هذا سيكون الجيش الإسرائيلي (متمثلاً في  
القصة العسكرية في القصة) محل سخرية وتندر لأنه يعاند الزمن، ويحاول لي الحقيقة  
وتتجاسر على مسلمات بديهية تجاوزتها الأحداث والقرون البعيدة التي شكلت واقعا  
لا يمكن لإنسان أن يعيده للوراء ولو ظاهرياً بتزوير هنا أو هناك. وعلى هذا كان  
مشروع "إحياء المخزن" رغم محاولة إعادته للحياة بسبل شتى، وبالفعل تم ابلاغ  
الذي كان سيمر وينتقد المكان بأن مفاتيح هذا المخزن ضاعت! ومن المعلوم أن علاج  
الصد الذي فقدت مفاتيحه هو التحطيم. مما يعزز فكرة أن الحل الذي يقدمه المؤلف  
لجيش الإسرائيلي هو "الهدم" أو "الدفن".

د- السخرية بهدف هدم الدعاية وكسر المحرم:

ترجع أهمية الجيش الإسرائيلي داخل مصفوفة المجتمع الصهيوني والمكانة التي  
من خلال دعاية مكثفة ورقابة عسكرية<sup>83</sup> تمنع نشر الأخبار غير المرغوب فيها

<http://www.jafi.org.il/education/100/concepts/demography/demography.html>

<http://www.israelhayom.co.il/article/312667>

47.

للجمهور، بسبب فرضية صكها بن جوريون ولا تزال غالبية الإسرائيليين<sup>٨٤</sup> يعتقدون بصحتها. "لا نستطيع وقف النزاع مع العرب طالما أنهم قادرون.. من جانبنا ليست هناك معركة أخيرة... بعد كل حرب تقع، وبعد كل حرب نخرج منها منتصرين، سنظل نواجه نفس المشكلة"<sup>٨٥</sup>. وعلى هذا فإن السخرية اللاذعة، وليس الانتقاد فقط لموقف في لحظة بعينها تعد تطوراً ملحوظاً في الرواية الإسرائيلية، ومحطة من محطات التمرد والعصيان باستخدام النثر.. وهو ما يمكن تبينه في الاستشهاد التالي:

בצבא כמעט לכל אחד יש שלב שהוא רוצה להדמות למישהו אחר. זאת הדרך הנקלה להרגיש יותר חשוב. טיורונים בצנחנים רוצים להיות כמו מפקדי הכוח שלהם. מ"כים עם שאיפות קצונה רוצים להיות כמו המ"מ. לפעמים הם מחקים את ההליכה ואת סגנון הדיבור שלו، בדיוק כמו החיילים שלה מחקים אותם. המ"מ רוצה להיות כמו המ"פ، המ"פ כמו המג"ד، וכן הלאה، ע הרמטכ"ל שבטח רוצה להיות אזרח או בלרינה. אני לא אתפלא אם הוא מגלח א. השערות מהרגליים<sup>٨٦</sup>.

في الجيش كل فرد يمر بمرحلة يريد أن يتشبه فيها بفرد آخر. هذه هي أسهل طريقة لكم تشعر بأنك أكثر أهمية. المستجدون في المظلات يريدون أن يكونوا مثل قادة الجماعات قادة الجماعات المتطلعين للترقي لرتب الضباط يريدون أن يصبحوا مثل القائم بعمل قائد الفصيلة.

<sup>٨٢</sup> الرقابة العسكرية: تأسست مع قيام الدولة الصهيونية بتطبيق قانون من سلطة الانتداب البريطاني على وسائل الإعلام الإسرائيلية مطبوعة ومسموعة ثم مرئية.

<sup>٨٤</sup> يعبر عن هذا التوجه ضعف نتائج معسكر اليسار والأصوات المعتدلة بشكل مطرد في الانتخابات الإسرائيلية المتعاقبة، وتولي قادة من اليسار أصحاب خلفية عسكرية رئاسة الحكومة الإسرائيلية لفترات طويلة (أمثال باراك ورايين).. ونجاح اليمين المتطرف في تشكيل الحكومات الإسرائيلية بمعدل أكبر من اليسار على مدار الخمس عشرة عاماً الأخيرة.

<sup>٨٥</sup> النظرية العسكرية الإسرائيلية دفاع وهجوم، أرئيل ليفيتا، ترجمة دار الجليل، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص ٣٩.

<sup>٨٦</sup> ינון ניר، שם، עמ' 15.

**تقنية المفارقة في رواية الكليل (الجندي الأخير)**  
لقد هم يقلدون طريقة مشيه وأسلوب حديثه، بالضبط مثلما يقوم بتقليدهم جنودهم. قائد  
لمدعة يريد أن يكون مثل قائد السرية، وقائد السرية يريد أن يكون مثل قائد الكتيبة، وهكذا  
من رئيس الأركان الذي بالتأكيد يريد أن يكون مدنيا أو راقصة بالية. أنا لن اتعجب إذا  
من أنه يخلق شعر ساقيه.

ينجلي لنا هدم المنظومة من خلال تكنيك المفارقة والسخرية حين يحطم المؤلف  
نموذج الأعلى وهو رأس الجيش الإسرائيلي ففي حين أن الكل ينظر للأعلى منه رتبة أو  
درجة ويقلاه نجد أن أعلى رتبة تتمنى أن تكون شخصية مدنية أو حتى راقصة بالية تزيل  
نعر قديمها بانتظام! وطريقة التناول تلك صادمة ومتعمدة لهدم رصيد طويل من التبجيل  
بشخص الذي اقترب من درجة الرفع لمصاف الأساطير من قبيل الدعاية والكتابة المجندة.  
والاستشهاد يعكس كذلك رتابة الحياة والايقاع، وأن الجميع داخل صفوف الجيش الإسرائيلي  
يجاز في دائرة مفرغة مما لا يتيح الإصلاح أو التطور.

ويبدو من الاستشهاد السابق أن الجندي الأخير -تماما مثل رئيس الأركان صاحب  
رتبة الأعلى في الجيش وفترة الخدمة الأطول- ملّ الحرب والخدمة العسكرية لأنه عرفها  
بشكل جيد، وقد عبر عن هذا القائد العسكري الصهيوني "يوسف ترومبيلدور" ٨٧ حين قال:  
"بعض الحوشبم، سأل الملاحمة מתרגלים ובהמשך הזמן חדלים לפחד מפניה. זה לא  
שון: במידה שירכו ימי היותך במלחמה, כן ירבה פחדך. אם מפני שהעצבים  
המקלקלים, אם מפני שאימות המלחמה מתגלות יותר ויותר, אם מפני סיבות  
אחרות".<sup>٨٨</sup>

كثيرون يعتقدون أنه يتم الاعتياد على الحرب، وأنه بمرور الوقت تتوقف المخاوف منها.  
فأغير صحيح: كلما طالت فترة وجودك في الحرب كلما زاد خوفك. سواء بسبب اضطراب  
أعصاب أو بسبب أن أهوال الحرب تتكشف أكثر وأكثر، أو لأسباب أخرى". قد يكون من

"يوسف ترومبيلدور: ولد في ١٨٨٠ خدم في القوات الخاصة بجيش روسيا القيصرية حيث وقع  
في الأسر الياباني، بعدها تطوع لخدمة الجيش البريطاني قبل تأسيس الكتيبة العبرية، وأقام لفترة في  
إسكندرية وهاجر لفلسطين حيث لقي مصرعه عام ١٩٢٠ في معركة مع المقاومة الفلسطينية.

<http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=216> ٢-٩-٢٠١٦

<http://www.pitgam.net/cats/175/1/0> 1-9-2016



بين "الأسباب الأخرى" تلك: تأنيب الضمير أو اكتشاف عدم عدالة القضية التي يحارب الجندي من أجلها أو كذب الشعارات التي تم ترديدها والترويج لها لسنوات.

ووفقا لما أقرته بالفعل وقائع على الأرض فإن الصورة التي يرسمها الأديب في متن الرواية- للجيش الإسرائيلي وعناصره وإقراره بتفشي حوادث استكمال المهمات من الوحدات المجاورة عن طريق السرقة، تعد صورة واقعية تبين الإهمال في تأمين تلك الوحدات، وإمكانية بيع الجنود لمعداتهم، أو أسلحة وذخائر وحداتهم ثم استكمالها إذا ما اكتشف أمرهم.. وتعتبر أيضا عن فساد مستشر داخل وحدات الجيش الإسرائيلي. والكاتب هنا يعبر عن ظاهرة حقيقية لمسها عن قرب، ففي بعض الحالات بلغ تفشي هذه الظاهرة حد أن جنود سرقوا صواريخ من وحداتهم وباعوا الصاروخ الواحد بمبلغ زهيد<sup>٨٩</sup>. وينم هذا التكنيك التهكمي المشتمل على إهانة واستهزاء يسعى لتقزيم العملاق الفاشل أو وضعه في حجمه الطبيعي، وكذلك عن رغبة لدى المؤلف في إحداث تغير حقيقي في ثوابت المجتمع الإسرائيلي الذي نظر للجيش كطبقة اجتماعية لها مهارة وقدرة على التضحية بنفسه من أجل الجماعة<sup>٩٠</sup>. فمن الواضح هنا أن الضحية الفعلية لتلك المفارقة المتمثلة في إدعاء القوة والبأس والحرفية والمهارة والقدرة هو المجتمع الإسرائيلي، ويتبين لنا أن هدف المؤلف هو توظيف السخرية للبرهنة على أن المؤسسة العسكرية قد استنفذت كل الحلول وأنها باءت جميعا بالفشل، وأن المكانة والهالة التي تحيط بها وبعناصرها غير مستحقة، وعلى هذا يكون المجتمع مضطرا للبدء في مرحلة جديدة والبحث عن حلول مختلفة لمشاكله المزمنة.

وسعيا لإسقاط هيبة الجيش الإسرائيلي أمام القراء احتفى الكاتب بقناع السخرية ثم قارن بشكل غير مسبوق منظومة حماية ملهي ليلي بمنظومة العمل بالجيش الإسرائيلي ثم انتصر الأديب في مقارنته في النهاية للملهي الليلي ومنظومة تأمينه، وقد اختار الكاتب عقد

<sup>٨٩</sup> ايلנה كوريال ويوا ب زيتون، حشد שאנשי קבע מכרו אמל"ח: 900 שקל לטיל، ידיעות אחרונות، 13-4-2014.

רפי רשף، מחזירים ציוד: הרכב שנגנב לפני 15 שנה יוחזר לצה"ל، 29-3-2016

<http://news.nana10.co.il/Article/?ArticleID=1182183>

<sup>٩٠</sup> راجع، د. أفيفا أفيغ، المجتمع الإسرائيلي، ترجمة د. محمد أحمد صالح، مراجعة د. محمد محمود أبو غددير، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد ٦، ١٩٩٨، ص ١٥٩.



في المقابل يوضح لنا الأديب لماذا الآخر ناجح، موضحا أن الصرامة والانضباط من سمات منظومة خارج الجيش الإسرائيلي هي منظومة تأمين ملهى ليلي:

אין סיכוי שיתנו לנו להכנס... "השומרים לא יכולים להכניס אף אחד" ... "במסיבות שלנו אם אחד השומרים יחליט להכניס מישהו או מישהי על דעת עצמו הוא יפוט מיד. במקרה הטוב הוא ימצא עבודה כשומר בכניסה לקניון באור יהודה"<sup>12</sup>

لا توجد احتمالية أن يسمحوا لنا بالدخول.. "الحراس لا يستطيعون إدخال أي شخص..".  
حفلتنا إذا قرر أحد الحراس إدخال أحدهم أو إحداهن من تلقاء نفسه سيتم إقالته فوراً. وفي أفضل الأحوال سيجد لنفسه وظيفة حارس في مدخل أحد المراكز التجارية في أور يهودا.

تتمثل السخرية داخل السخرية، أو السخرية غير المباشرة من المقارنة التي ستختبر في ذهن القارئ الفطن بين الملهى الليلي وعناصر تأمينه وحراسه وبين الجيش الإسرائيلي فالعناصر التي تم اختيارها لحراسة مدخل الملهى الليلي من المتطفلين وغير المرغوب فيه ومن قد يحاولون اقتحامه وفرض سطوتهم عليه تم انتقاؤهم بعناية شديدة لدرجة أنهم أفضل من قادة الوحدات عالية التدريب في الجيش الإسرائيلي، ويمكنهم حسب وصف الأديب أن ينتعروهم إذا غضبوا! وفي هذا مراوغة من الأديب الذي استعان بالسخرية غير المبررة لإداز الجيش بعقد المقارنة بينه وبين مؤسسة أخرى محدودة الإمكانيات ولا تحظى بالاحترام والرأي العام، مع الإشادة بتلك المنظومة مما ينتقص من منظومة الجيش بالتبعية.

ومن حيثيات حكم الأديب المنحاز لمنظومة تأمين الملهى يمكن الالتفات إلى أن الفساد لا يطال الملهى الليلي، ولا توجد به محاباة واستثناءات، على عكس الوضع في الجيش. فلا يمكن أن يدخل فرد الحراسة من لا تنطبق عليه معايير الدخول وإلا سينال عقاباً حاسماً ورادعاً للآخرين على عكس اللصوص في الجيش الإسرائيلي الذين يبيعون عتادهم وأسلحتهم ثم يستكملون المهمات قبل الجرد بالسرقة من عهدة الآخرين.. وكذلك الفساد في "مخزن السلاح" بمنح بنادق متطورة للأصدقاء والمقربين، وفي توزيع سكرتارية القادة وبالطبع القادة للأجازات والامتيازات من جانب، والأعباء والمهام من جانب آخر حسب الأهواء. وهنا يمكن القول بأن الأمر يتخطى في خطورته وتأثيره الرتب والدرجات الصغير

<sup>12</sup> "نون نير، شם، עמ' 208.

في الجيش الإسرائيلي، حيث تؤثر التفرة وغياب العدالة في توزيع الامتيازات، والأعباء على الأداء العام في أي مواجهة حقيقية وتبث حالة من السلبية وغياب التعاون في صفوف الجيش الإسرائيلي، أي أن المفارقة استخدمها الأديب هنا لتشجيع عناصر الجيش على التفكير النقدي، والتعامل مع الجيش الإسرائيلي بحجمه وأدائه الحقيقيين وليس عبر الصورة التي يتم تصديرها وغرسها عبر السنوات الطويلة بالتعليم والتدريب المباشر أو بالدعاية الكاذبة، وسعيًا لهذا الهدف لجأ المؤلف إلى المفارقة الصادمة المؤلمة للفت الانتباه وإيقاظ الوعي بحجم الكارثة التي ستحيق بالمجتمع لو استمر في الاعتماد على مؤسسة عسكرية بهذا السلوك وهذا المستوى الأخلاقي والمهني.

#### ٦- السخرية من فكر قادة الجيش الإسرائيلي وتضليل الأديباء:

ويصر المؤلف بشكل ساخر على أن يشهد أمام الجميع من واقع تجربته وخبرته المكثفة وزاوية رؤيته كأديب أنه لا يوجد أي تقدم أو بارقة أمل في الجيش الإسرائيلي، فخصية القائد الذي يصرخ ولا يعمل وبلا عقل يعمل شخصية متوافر منها (كما يرى المؤلف بشكل ساخر) مخزون استراتيجي مجمد لصالح الجيش الإسرائيلي، ولذا فإنه في حالة غياب قائد عصبي المزاج أو حدوث أي طارئ يتم صهر الجليد من فوق القادة المجمدين ودفعتهم للجيش فوراً:

יש מתקן סודי ששומרים בו רסיירים בהקפאה כדי שבמקרה שיצליח לחדור לצבא קצת היגיון יוכלו להפשיר אותם והם יתקנו את העניין. במקום להוציא אותם לפנסיה הצבא פשוט מקפא את הרס"רים ומאחסן אותם במקררי ענק<sup>٩</sup>.  
هناك مقر سري يحفظون فيه ضباط الصف مجمدين حتى يمكنهم ما إذا نجح أي منطلق في الولوج قليلاً للجيش أن يصهروا تجميدهم ويصلحون الأمر. بدلاً من إخراج ضباط الصف هؤلاء للمعاش الجيش يجمدهم ببساطة ويخزنهم في ثلاجات عملاقة.

<sup>٩</sup> "ינון ניר، שם، עמ' 39.

في معالجته الساخرة يؤكد الأديب أن التأثير السلبي للجيش الإسرائيلي سيستمر حتى بعد تقاعد عناصره وإنهائهم فترة الخدمة نظرا لأن بعد الجيش الأوضاع لا تختلف كثيرا ولا تتحسن فالعقيد -صديق العائلة- يصبح مسؤولا عن قاعدة دراسية عسكرية، والأب فور تسريحه من الجيش يعمل ولمدة ثلاثين عاما في مذبح للطيور:

أبأ שלי עבד במפעל עופות בבכורות, במשך שלושים שנה, מאז שהוא השתחרר מהצבא. הוא התחיל במחלקת השחיטה ועבר במהלך השנים למחלקה שבה מוציאים לתרנגולות את המעיים ושאר האיברים הפנימיים, שם נתקע<sup>90</sup>.

عمل أبي في مصنع للدجاج في "بخوروت"، على مدار ثلاثين عاما، منذ أن أنهى خدمته في الجيش. بدأ في قسم الذبح وانتقل بمرور السنوات للقسم الذي يقومون فيه بإخراج أمعاء الدجاج وبقية الأعضاء الداخلية، هناك علق.

نجد هنا مقارنة بين الجيش وما يرتكبه من مذابح متكررة تجاه مدنيين ومصنع الدجاج، فلا جديد أجواء بشعة وغير إنسانية وغير محببة ولا تتوقف، باعتبار أن الدم والعبث في الأحشاء الداخلية للطيور أصبح مجرد عمل روتيني، ويمكن هنا تأويل نظرة الأديب للعالم من حوله ودرجه رفضه له، خاصة إذا لاحظنا حرص الأديب على أن يجعل المشارك في الجرائم في الجيش ينقل "الفيروس" لأجيال قادمة يتم غرس العنف وتمجيد أساطير الجيش الإسرائيلي في مناهجهم الدراسية وفي حياتهم اليومية في المدرسة العسكرية، وكذلك ينقل كل مشارك في الجريمة -أي عمال المصنع- الروث والوسخ للمنزل بعد الغاء أدشاش الاستحمام المخصصة للنظافة من المكان، ومع هذا وفي نهاية المطاف يفشل المشروع ذاته ويتم تسريح العاملين إلى المجهول:

במסגרת הקיצוצים הם סגרו את המים במקלחות. חלק מהעובדים התמרמרו ושטפו את עצמם בכיור לפני שהם יצאו הביתה, וזה הכעיס אבא שלי. בכל מקרה, זה לא עזר, והמפעל נסגר. אולי הם מכרו את הציוד ליחידה הזאת שמקפאים בה הרס"רים<sup>91</sup>

<sup>90</sup> ינון ניר, שם, עמ' 48.

<sup>91</sup> שם, עמ' 48.

**تقنية المفارقة في رواية الكهليل (الجندي الأخير)**  
إطار التقليلات أغلقوا الحمامات. قسم من العمال أبدوا تذمرهم، واغتسلوا في الحوض  
أن يتوجهوا لمنازلهم، وهذا الأمر أغضب والدي. على أية حال، لم يساعد هذا في  
وتم إغلاق المصنع. وربما باعوا العتاد لتلك الوحدة التي يتم فيها "تجميد" ضباط

هذا المفارقة تكمن في أن الوهم يتحول لحقيقة والدوائر متصلة لا فكاك منها،  
والنم والقذارة مستمرة بتجميد القادة المسؤولين عن النظافة والانضباط كمخزون  
لمواجهة أي منطوق محتمل باعتباره خطر عظيم وهذا الموقع الافتراضي يتم  
بمضاد مصنع حقيقي جل عماله من العسكريين المتقاعدين فشل، رغم الدم والقذارة  
التي تجاوزت أي منطوق والتي انطلقت منه للبيوت - أي إلى قلب المجتمع - في أن  
عمل المسيرة أو يحقق نفعاً أو قيمة أخلاقية أو اقتصادية للمجتمع الإسرائيلي.

أي أن الأديب لا يتلاعب بالألفاظ بقدر ما يتخيل مواقف صادمة توضح سداجة  
الأطراف أو عدم جدوى سياسة معينة. ولا يمكن لجمهور القراء فهم سخريته بكل أبعادها  
إذا كانت لهم دراية بطبيعة الخدمة العسكرية بكل عام، وتاريخ الجيش الإسرائيلي وتأثيره  
المجتمع بشكل خاص حيث يقدم الأديب شهادته التاريخية من وسط الحدث كما "يربط"  
بين الوقائع من نظرة أوسع وأشمل تتطلق من فهمه لموقعه وواقعه من خلال جهود  
يل سبقتة<sup>٩٧</sup>.

ويدون موارد يقرر المؤلف على لسان الشخصية الرئيسية أن الحل هو الهدم  
تف المنظومة نهائياً كما يستضح من الاستشهاد التالي:

هشك لي (...) لتندب לשם. למחלקה שבה מוציאים לרס"רים את המעיים ואח  
רים הפנימיים، או למחלקת השחיטה (...). אני אשבור، אהרוס، אהפוך פח  
זה، אקלף צבע מהקירות، אשרוף... זאת הכרזת מלחמה. מלחמה פרטית  
אמת יחיד שלי נגד הרס"ר. ואם צריך، מלחמה שלי מול כל הצבא. הבסיס כול

الجندي الأخير، بيكورت התרבות החילונית، הוצאת ספרים "ל מאגנס"، האוניברסיטה העברית. ירושלים،  
למ' 36.

יראה כמו המחסן הזה . כל - כך מלוכלך שהם יאלצו להרוס אותו ולכנות אותו מחדש ، ולא יוכלו לגייס אף אחד גם אם הערבים יתקיפו<sup>98</sup>.

شعرت برغبة (... ) في الالتحاق بهذا المكان هناك . ذلك القسم الذين يقوم العاملون فيه بإخراج أمعاء وأحشاء ضابط الصف أو قسم الذبح . (... ) سأحطم، سأهدم، سأقلب صناديق القمامة، سأززع الطلاء من الجدران، سأحرق... إنه إعلان حرب . حربي الشخصية . حرب فرد ضد ضابط الصف . وإن استلزم الأمر حربي ضد الجيش كله . ستبدو القاعدة مثل هذا المخزن . قدرة للغاية لدرجة أنهم سيضطرون لهدمها وبنائها من جديد، ولن يستطيعوا أن يجندوا فردا واحدا حتى ولو هاجمنا العرب .

أخضع الأديب هنا المؤسسة العسكرية لما يرى أنه هو الحل الوحيد إزاء تردّي أوضاعها وتفشي الأمراض بها، وعبر عن يأسه وعدم اقتناعه بأية حلول أخرى حين وضى لنفسه هدفا تحطيم قاعدته وإعلان الحرب على تلك المنظومة حتى تتوقف عن وظيفتها الأساسية وهو استقبال دفعات جديدة من المجندين، أي أنه هنا يدين المجرم ويعاقب بالإعدام، ولا يدين جريمة واحدة دون تحديد من ارتكبها كما فعل كثيرون قبله، فجزاء المجرم وعقابه - من وجهة نظره - هو أن يسود الجيش الإسرائيلي كله الشلل نظرا لأن تلك القاعدة وغيرها من قواعد التدريب الأولى للمستجدين بمثابة المضخة التي توفر الماء المطلوب أو الوقود اللازم للحركة والاستمرارية، وبهذا يعبر الأديب عن موقف يساري يرى أن "السلام هو الطريق الفعلي لتحقيق أمن إسرائيل"<sup>99</sup>، وهنا يهدم المؤلف سلاح السخرية مقولة شهيرة لبز جوريون "كل العلم صبا، كل הארץ חזית" " كل الشعب جيش، كل إسرائيل جبهة" فالأولويات الإنسانية الفردية هي الأساس والحرب والقوة قد تستخدم أيضا ضد الفاسدين داخل الجيش الإسرائيلي مهما كلف الأمر، وهنا وبكل همة وبشكل مباشر ودون مواردية يشدّ يانون نير في تحطيم أعمال أدبية شاعت مروجة لقوة الجيش وأخلاقه، ويحاكم تلك الأعمال

<sup>98</sup> ינון ניר، שם، עמ' 49.

<sup>99</sup> أحمد مصطفى الجيزاوي، الرؤية الاستراتيجية للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية تجاه مشروع التسوية في الشرق الأوسط، دن، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٤٩.

<sup>100</sup> <http://www.pitgam.net/quote/4832/1> בין המרכאות ،

تقنية المفارقة في رواية كحييل האחרון (الجندي الأخير)  
الأدبية بقسوة بعد أن اكتفت أعمال سابقة بوصف صراع داخلي بين الشخصية الصهيونية  
و"ضرورة" ارتكابها لجرائم حرب<sup>١١</sup>، حيث يذكر بلهجة إدانة:

מבא כל אחד דואג רק לתחת שלו... ממש התחשק לי לגייס מחדש את כל הסופרים  
מכתבו גדולות ונצורות על החברות בצבא ולהציב אותם במשך חודשים ביחד עם  
המסופחים במדור מעבר، רק לראות איזה ספרים הם יכתבו<sup>١٢</sup>.

في الجيش كل فرد يهتم فقط بمؤخرته... بالفعل كانت لدي رغبة عارمة في أن يتم من جديد  
تجنيد كل الأبناء الذين كتبوا عظام الأمور عن الزمالة في الجيش مع وضعهم على مدار  
شهور سويا مع الملحقيين في دورة انتقالية، فقط لكي أرى الكتب التي سيألفونها.

بنا وضع "تير" كل الأبناء - على لسان الراوي وهو ذاته الشخصية الرئيسية - في سلة  
واحدة مؤكدا إنهم كذبوا ولا يزالون يكذبون على القراء، وأنه لا يوجد في الجيش الإسرائيلي  
تضامن أو إخلاص للرفاق والصحبة، كل فرد عليه أن يحمي نفسه.. ولا يجب أن ينشغل  
بالآخرين والدفاع عنهم أو انقاذهم من الملمات. أي أننا نجد الضيق قد اصطبغ بسخرية  
مريرة لا تتورع عن اللجوء إلى قدر من الوقاحة تجاه أسماء كبيرة في الأدب الإسرائيلي  
حظيت بشهرة وجوائز وأرقام توزيع كبيرة. والمؤلف في هذا المضمون يعد امتدادا لإرهاصات  
سبق فيها إدانة أدباء فترة الإحياء القومي، حيث "وصفهم مثير شاليف بأدباء القبور" لأنهم  
كانوا شركاء في صنع الأسطورة التي جاءت بهؤلاء الرواد إلى أرض الخراب والرماد من  
خلال إنتاجاتهم الأدبية التي تحدثت عن لهيب العودة إلى أرض الميعاد<sup>١٣</sup>. وهنا قرر  
الأديب أن يضع الجرس في عنق القط مباشرة ويسمي الأسماء بأسمائها متهما كل الأبناء  
الذين أشادوا بالجيش الإسرائيلي بالتملق والخداع، الأمر الذي رسخ تلك السياسات الخاطئة  
وتلك الحلول غير المجدية، وهو ما يتضح في الاقتباس التالي:

כמעט כל מי שכתב ספר טוב על הצבא שנא את הצבא. ואם אתה סופר שבטעו  
שירת כחייל קרבי، אתה צריך להסביר למה עשית את זה שלא רק ששיתפת פעול

<sup>١١</sup> יוסף אורן, ציונות וצבריות ברומאן הישראלי, ראשון-לציון, יחד, תש"ן 1990, עמ' 14.

<sup>١٢</sup> שם, עמ' 71.

<sup>١٣</sup> ד. عمرو عبد العلي علام، الأسطورة الزائفة رحيل الصهيونية والبحث عن بديل (دراسة في  
الأدب الإسرائيلي)، دار العلوم، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٧٥.



لعم הטמטום הזזה שנקרא צבא, גם הגדלה ראש, השתתפת בקרבות וזיית מור להדהרג. יש מעט מאור אנשים שמזכנים להודות שהם היו צעירים וטיפשו ושזהצליחה לעבוד עליהם<sup>104</sup>.

تقريباً كل من كتب كتاباً جيداً عن الجيش كره الجيش، ولو كنت أديباً خدمت عن طريق الخطأ كجندي في وحدة قتالية، يجب عليك أن تعتل لماذا فعلت هذا ليس فقط تعارفت مع غلط القلب والإحساس الذي يطلقون عليه جيش، بل قمت بما هو مطلوب منك دون التنازل. شاركت في معارك وكنت مستعداً لأن تلقي مصرك. هناك عدد قليل جداً من البش مستعدون لأن يعترفوا بأنهم كانوا شباناً وحقي وأن آخرين خدمهم.

قررت الأغلبية -وفق معالجة الأديب - أن تبرر مشاركتها في الجريمة بالكتابة الإيجابية، فبدلاً من أن يعترف الأديب بأنه تم استغلاله وأنه لم يعمل عقله اضطر للكتابة بشكل إيجابي عن الجيش ليبرر ذاته ما ارتكبه هو شخصياً من فظائع، وفي المقابل ظهر على استحياء كتابات تعترض بشكل غير مباشر على مظاهر عنصرية وغير إنسانية في الجيش على غرار ما طرحه عاموس عوز عن المعاملة المهينة للمجنات في الجبهة الإسرائيلية في رواية صندوق أسود<sup>105</sup>.

והזק מזזה הרבה סופרים מסומכבים בחוגי הבוהמה או לפחות בחוגים חברתי שהאנשים בהם מתחכמים מספיק כדי לא להתייחס ברצינות לטיפעונים כמו להגן והמורדה, ציונות, לרכים<sup>106</sup>.

وباستثناء هذا يتحول أدباء كثيرون في أوساط يوهيمية أو على الأقل في أوساط اجتماع أفراد فيها أنكيا بما يكفي لعدم التعاطي بجدية مع مزاعم على غرار الدفاع عن الوطن الصهيونية، القيم<sup>107</sup>.

هنا يضع الأديب المعاصر الأدباء الرواد في خانة الخصوم وفي قصص الأثمة الصريح وهو بذلك لم يختلف كثيراً عن مواقف متفقين عرب حين كتب أحدهم عن نفسه

<sup>104</sup> ינון ניר, שם, עמ' 71.

<sup>105</sup> שולמית אלמוג, קריאת כבוד ארגון נפרט סיפור ומשפט, המכון הישראלי לדמוקרטיה

ירושלים, 2014, עמ' 53.

<sup>106</sup> ינון ניר, שם, עמ' 71, 72.

**تقنية المفارقة في رواية החייל האחרון (الجندي الأخير)**  
ولاء الأبناء: ' مع الاعتراف التام بعنصرية الأدب العبري، وعنصرية انقسام الشخصية  
والأنا في الوقت نفسه لا بد أن نحيط بتلك الشخصية فيه، إلا أننا في الوقت نفسه لا بد  
من نصوص تلك التجربة التي تتم وراء الأسلاك الشائكة، وفي سراديب المختبرات السرية  
بمحاولة داخل الأرض المحتلة، حيث يتم صنع ذلك السلاح السري الذي اسمه "الكتاب"،  
مرة في التاريخ يقوم فريق من المفكرين والفنانين بمحاولة صنع عقل جديد للكائن  
إسرائيلي<sup>١٠٧</sup>.

الحكام الهالاه شونאים את המדינה עוד יותר מכפי שהם שונאים את הצבא והם  
בדיום טוב מאוד את כל השיטה והמונפולציה שהמדינה מפעילה עליך כדי לגרום  
לדוץ להיהרג בצבא כמו כלב מיותר. יש רק הסבר אחד שהם מוכנים לקבל:  
מזל החברים<sup>١٠٨</sup>.

ولاء الأشخاص يكرهون الدولة أكثر من كرههم للجيش، وهم يعرفون جيدا للغاية الطريقة  
بالحيا والاحتكار الذي تمارسه الدولة عليك لكي تجعلك تركض، لكي تلقي مصرعك في  
جيش مثل كلب يتيم. يوجد فقط تفسير واحد يمكنهم تقبله: من أجل الزملاء.  
مؤرخين سכתבו את הספרים האלה היו מוכנים להיהרג למען החברים שלהם...  
כל להיות שהם המציאו חברים... רק כדי שלא יצטרכו להודות שעבדו עליהם<sup>١٠٩</sup>.  
المفارقة هنا أن المؤلف يرى أن المسار الخاطيء للجيش ولمن يروجون له سيؤدي لانتهيار  
الدولة على الرغم من أن وظيفة الجيش هي حماية الدولة ولذا يضع من يروج لبطولات زائفة  
يكتيب في خانة أعداء إسرائيل، محرضا الرأي العام على التعامل معهم من هذا المنطلق.  
الأبناء الذين كتبوا تلك الكتب كانوا مستعدين لأن يلقوا مصرعهم من أجل زملائهم... من  
لمحتمل أنهم اخترعوا زملاء... فقط حتى لا يضطروا للاعتراف بأن هناك من خدعهم.  
بكل محذور تيرونات יש איזשהו מטורלל שגדל על סיפורי גבורה מטופשים על החייל  
הקפץ על רימון ונהרג כדי להציל את כולם<sup>١١٠</sup>.

<sup>١٠٧</sup> معين بيسيسو ، نماذج من الرواية الإسرائيلية المعاصرة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية  
٢٠١٠، ص ٢٧.  
<sup>١٠٨</sup> شمس، عم' 72.  
<sup>١٠٩</sup> يون نير، شمس، عم' 72.  
<sup>١١٠</sup> شمس، عم' ٧٥.

يوجد في كل دفعة مستجدين فرد مهووس تربي على قصص بطولة حمقاء تروي عن الجندي الذي قفز على قنبلة ولقي مصرعه لكي يلقذ الجميع.

هنا تصم الرواية "القصص القديمة" التي تروج للجيش ولبطولة وفداء عناصره بأنها "قصص حمقاء"، وأن من تتطلي عليه ويتبعها يكون بالتالي هو في الواقع ليس بطلا، بل أحمق، أرعن، خفيف العقل.. وفي واقع الحال يمكن القول أن المؤلف أراد أن يهدم أسطورة أن إعلاء الدنح "أمام الأنا" هي مفتاح النجاح والنصر، ولذا فإن لها الأولوية، وقد لجأ الكاتب هنا لقناع السخرية لتوصيل الفكرة والرسالة نظرا للهجوم الشرس الذي قد يصل إلى حد التخوين والتهديد بالقتل لكل من ينتقد الجيش الإسرائيلي<sup>111</sup>، فالراوي هنا يمثل الأنا التي تملك وعيا مرهفا نقديا تجاه ما يحدث، ولا تملك التمرد الرسمي، فتعبر عن قلقها عبر الإبداع، بالرمز وبالسخرية كمناوره تمكنها من تجاوز مقص رقيب المؤسسة العسكرية وكذلك المحاكمات الشعبية والتخوين.

وقد رصد الناقد دورون كورن تعقيب متعمد في عدد من الأعمال الأدبية الإسرائيلية الحديثة والمعاصرة للبطولة العسكرية -حسب زعم الأدب المجدد- وتشكيك في صحة الهدف الذي يحاربون من أجله ويل ويقر بعضهم بأن الأرض التي يتم القتال عليها هي بالفعل أرض عربية<sup>112</sup>، وربما يكون الأديب يانون نير قد تأثر بكتاباتهم. ومن أجل تأكيد ذلك يُظهر المؤلف من يصدق تلك الحكايات (في الرواية المجدد ميلشتاين) على أنه غبي يتسبب في مشاكل كبيرة لزملائه، حيث يصر في التدريبات على القفز فوق الحجر الذي يلقيه القائد وكأنه قنبلة، وليس الانبطاح بعيدا عنه حسب أوامر القائد: عשינו את התרגיל כמה פעמים כדי שזה יכנס לנו לראש טוב טוב וזה אכן נכנס לראש של כולם، חוץ מאשר לראש של מילשטיין. בשניה שהמפקד אורן זורק אח הרימן، כולם، למעט מילשטיין، משתטחים על הארץ، רק כדי לראות את מילשטיין מזנק על האבן ומציל את כולם.

<sup>111</sup> יוסי גורביץ، בגלל המלחמה ההיא (עיון בתאריך: 10 - 6 - 2017) <http://www.hahem.co.il/friendsofgeorge/?p=4570>

<sup>112</sup> דורון קורן، ספרות בלי גיבורים، ידיעות אחרונות، מגזין ספרים، 8-5-2011،

تقنية المفارقة في رواية الحويل الاحرون (الجندي الأخير)  
... אבל הצחוק הזה לא נמשך הרבה זמן. שנייה אחרי  
... המפקד... המפקד... פוקד על מילשטיין לעלות על האלונקה...  
... לראש הגבעה הסמוכה ובחזרה. הגבעה הזאת  
... קוצניים. מדי פעם החברים של מילשטיין מהשיבה  
... של הרובה. הם יכניסו לו עוד הרבה מאוד מכות עד סוף

... לכי نستوعبه بشكل تام وبالفعل استوعبه الجميع، باستثناء  
... التي القى فيها القائد أورن "القبلة اليدوية"، انبطح الجميع على  
... ميليشيتاين، فقط ليروا ميليشيتاين يندفع فوق الحجر لينقذ الجميع.  
... لكن هذا الضحك لم يستمر طويلا. ثانية بعد أن قفز  
... أمر القائد ميليشيتاين بأن يصعد فوق نقالة الاسعاف... هو أرسلنا  
... الهضبة القريبة ثم العودة. تلك الهضبة مليئة بالأحجار، الأعشاب  
... في كل مرة زملاء ميليشيتاين في الليشيفا يضربونه بمؤخرة  
... حتى نهاية فترة المستجدين.

... "الضحك هو محصلة لذلك الصراع أو التفاوت المعرفي الذي  
... والمدرك الحسي الخاص، نظرا لأن المواقف  
... آرثر شوينهور - تنقسم إلى نوعين: الظرف أو  
... رسالة مفادها أن التعامل اللفظ الممنهج ضد  
... من جانب القادة بارتكاب حماقات، كما أقر من خلالها بتدني  
... إلى حد عدم فهمهم لأوامر بسيطة في التدريب،  
... فادحة في المعارك.  
... لن تمنع الجنود من التكاسل في نوبات الحراسة ولن تمنع  
... كما في التمرد على القادة كما في الاستشهاد التالي:

... ٧٥

... مرجع سابق، ص ٩٤

כשהתעוררתי שוב חיפשתי בבהלה את הנשק שלי. זה היה הפחד הכי גדול שלי  
בטירונות שאאכד את הנשק ואשלח לשבע שנים לכלא או שהמפקדים יצליחו לגנוב  
לי את הרובה מתחת לראש בזמן שאני ישן. החלום של ג'ורג'י היה להרביץ מתוך  
שינה למפקד אורן ולמפקד ניר בזמן שהם מנסים לחטוף לו את ה-M16 מתחת  
לראש. הוא תכנן להרביץ להם כל - כך חזק שיצטרכו להכניס אותם לבית  
חולים<sup>110</sup>.

حين استيقظت مجددا بحثت بفرع عن سلاحي. كان الخوف الأعظم بالنسبة لي في فترة  
المستجدين هو فقدان السلاح وارسالي لقضاء سبع سنوات في السجن أو أن ينجح القادة في  
سرقة البندقية من تحت رأسي خلال نومي. وكان حلم جورجي أن يكيل الضربات خلال  
نومه للقائد أوران وللقائد نير وهما يحاولان خطف بندقية ال M16 من تحت رأسه، وخطط  
أن يضربهما بقوة لدرجة أن يضطروا لنقلهما لمستشفى.

المفارقة هنا هي أن الجميع ينامون وقت نوبة الحراسة ومنذ الأسابيع الأولى للانضمام  
للجيش الإسرائيلي ورد الفعل حينما يتم اكتشاف الأمر هو فقط المختلف، بل وهناك من  
يوظفه لتصفية حساباته الخاصة مع قائده.

على عكس ما تروج له الكتابات الأدبية المجنونة يرى المؤلف أن التمرد ومواجهة  
القادة بعنف سينقذ أرواحا وسيجنب المجتمع الإسرائيلي تكبد خسائر بشرية تلقى مصرعها بلا  
طائل:

חבל שהוא לא עשה את זה. זה בטח היה מציל את החיים שלהם. וגם את החיים  
שלו כי למרות שהוא חשב שמותר לו לעשות הכול מתוך שינה , סביר להניח  
שהצבא היה חושב אחרת ושולח אותו לכלא במקום ללבנון<sup>111</sup>.

من المؤلف أنه لم يفعل هذا. فقد كان هذا بالتأكيد سينقذ حياتهما. وسينقذ حياته أيضا لأنه،  
على الرغم من أنه اعتقد أنه مسموح له بأن يفعل كل شيء وهو نائم، فإنه من المنطقي  
الافتراض أن الجيش كان سيفكر بشكل مختلف وسيُرسله للسجن بدلا من أن يرسله للبنان.

<sup>110</sup> ינון ניר, שם, עמ' 190.

<sup>111</sup> שם, עמ' 190.

تقنية المفارقة في رواية الحديد (الجندي الأخير)  
ومن هنا المؤلف لقناعته الشخصية ومفادها أنه لا حوار بين قادة الجيش الإسرائيلي  
والعرب. فالمواجهة والعنف كانت ستتخذ حياة الاثنين الجندي (الذي  
يذهب للموت)، وقائده (الذي سيذهب للمستشفى) بدلا من أن يلقي أحدهما معا في  
البحر. وتبين لنا أن النوادر والتوريات التي تسردها الشخصية الرئيسية  
منها تعرية مشاكل الجيش الإسرائيلي وإثبات أن هذا الجيش لا يؤدي وظيفته  
ولا جدوى من إصلاحه، وبالتالي لا جدوى من الموت في سبيله، ومن الأنفع  
مع جنودا وضباط التمرد عليه والتهرب من الخدمة فيه.

وعن نقشي المخدرات في صفوف الجيش الإسرائيلي بكل ما ترمز له من تغييب  
وخراب من الواقع لواقع خيالي ذكر المؤلف أن أقرص الهلوسة تم تهريبها من  
إيران، وقد تعاطتها الشخصية الرئيسية مع آخرين مرارا حتى تمرد ذات مرة من خلال  
تعاظيها إرضاء لمن حوله من صديقات اعتدن على تقبيله حتى يبتلع الأقرص  
بسرعة.

הפעם אני לא מתכנן לבלוע את הכדור וכשנססיה מנשקת אותי אני מעמיד פנים  
בולע את הכדור ושנייה אחר כך, בלי שהן רואות, אני יורק את הכדור על  
הפסגה.<sup>117</sup>

هذه المرة أنا لا أخطط لبلع القرص وعندما تقبلني نستيا تقبلني أظهار بأنني أبلع  
بسرعة وبعد ذلك بثانية وبدون أن يرينني أبلع القرص على الأرض.  
وعن تخاذل الشخصية الرئيسية في الرواية، وجبنها عن أداء واجبه في المعارك ومعه  
في الاستشهاد التالي:

המ"מ צועק "נתקלנו מלפנים, קדימה הסתער" המפקד ניר והמפקד אורן  
אחריו וצרוך אחד ארוך מחסל שלושתם. אני רואה אותם נופלים. שוב ושוב,  
בשידור חוזר.<sup>118</sup>

ל"ן ניר, שם, עמ' 203.

שם, עמ' 205.

صرخ قائد الفصيلة: حلقنا من الامام ، تقدموا هجوم. القائد نير والقائد اورن قاما وراهه ورفعته واحدة طويلة من طلاقات بندقية آلية صفت الثلاثة. رأيتهم يسقطون. مرارا وتكرارا مثلما يحدث عند إعادة عرض اللقطات المذاعة.

هنا الشخصية الرئيسية التصقت بالأرض، ولم تخرج من المكان الذي تحتمي به من الرصاص للمشاركة في الهجوم وتنفيذ أوامر الدرجات الأعلى والأقدم.

لظني لלבنون فחדثي שכרגע האמת לא אסתער. שלא אוכל להציל את החברים שלי. פחדתי מזה לא פחדות משפחדתי למות. אולי אפילו יותר<sup>119</sup>.

قيل لبنان كنت أخاف ألا أهاجم في لحظة الحقيقة. ألا أستطيع أن ألق زملاتي، خفت من هذا بدرجة لا تقل عن خوفاي من الموت. ربما حتى أكثر.

أي أننا نجد أن قادوش في لحظة الحقيقة، ورغم كونه فردا في وحدة عالية التدريب تنتفي عناصرها بعناية وتدريبهم بشكل قاسي لمواجهة كل الاحتمالات والظروف نجده يسقط في الاختبار ويسقط مع الجيش الإسرائيلي أيضا:

אני נופל על הארץ ומתחבא מאחורי סלע , הסלע שלי , ולא רוצה לצאת. האדמה מתחת רטובה . אני נצמד אליה בכל כוחותיי וכל מה שאני רוצה זה לקפל את הצויד שלי ולהסתלק מכאן כמה שיותר מהר. בלי להביט לאחור...מתחתיי יש נקניק , מסדרון מזות, וכל מי שנכנס אליו חושף כדור, ומת . צרחות , קולות של רימונים מתפוצצים וצרחות ירי וטרטור מכשירי הקשר. הכל מתערבב ורק האדמה נשארת רטובה ספוגה בדם. הדם של החברים שלי. הם צועקים לי לרדת, למות יחד איתם, אבל אני נשאר במקומי ולא לוזז<sup>120</sup>.

سقطت على الأرض واختبأت خلف صخرة، صخرتي، غير راغب في الخروج. الأرض من تحتي رطبة . التصقت بالأرض بكل قواي وكل ما كنت أريده هو أن أطوى معداتي وابتعد من هنا في أسرع وقت. بدون أن انظر خلفي... يوجد تحتي ممر بين جبلين، ممر موت، وكل من يدخل إليه تربيده طلقة فيموت. صرخات أصوات قنابل يدوية تفجر، ورفعات من

<sup>119</sup> שם, עמ' 205

<sup>120</sup> ינון ויר, שם, עמ' 205, 206.

تقنية المفارقة في رواية החייל האחרון (الجندي الأخير)

ومسحوب أجهزة اللاسلكي. كل شيء اختلط وبقث الأرض فقط رطبة مشبعة بدم.  
كانوا بصرخون ينادون لكي أهبط لكي أموت معهم، لكني بقيت في مكاني ولم  
أتحرك.

وسخر الأديب من أن كون الحل الوحيد الذي يوفره الجيش الإسرائيلي لعناصره بعد  
سقوط وقاسي ومرير ومهين هو الموت مع الزملاء. وقد مهدت الرواية وتكنيك السخرية  
بمها فحجوزات غير مسبوقه ضد رئيس الأركان على أرض الواقع، حيث تلقى رئيس  
الجندي ايرنكوت تهديدات بالاغتيال والحقاق برئيس الوزراء اسحق رابين الذي تم  
في عام 1995، على خلفية مظاهرات حاشدة منددة بمحكمة عسكرية قضت بإدانة  
إسرائيلي لقتله جريح فلسطيني<sup>121</sup>. ويمكن في هذا الإطار ملاحظة أن الشخصيات  
في الرواية، كلها شبابية فحتى القادة الميدانيون هم من الشباب صغير السن لا تزيد  
عن أصغر مجند سوى عام أو عامين، والضباط الكبار وكبار القادة يعيدون عن  
التمتع والكوارث.. فهم مجرد "عابرون" يزور أحدهم المعسكر فيتم الاستعداد للزيارة  
بمحافظة نظيف المخزن، وكأن الزيارة كانت وبالاً على الشخصية الرئيسية الشاب.. أو  
بعضة غامضة تكتنفها الأساطير والخرافات مثل رئيس الأركان الذي يرغب أن يكون  
بجيلة جميلة ورقيقة. وكل هذا يعني لدى الأديب أن العزلة بين طبقة الجنود والقيادات  
لقد اكتنفت حلقاتها ليتحول عالم الجنود المقاتلين في الميادين بعد تدريبات شاقة  
إلى عالم لا صلة له بعالم القادة وفي هذا نوع من التحريض المستتر ضد القادة.  
إن حصاد الفساد وقشل القادة وتضليل الأديباء المروجين لأساطير الجيش وبطولاته  
يمكن رصده في الاستشهاد التالي:

בן קדוש התעורר בבית החולים. הרופאים לא היו בטוחים שהוא יצא מזה. הו  
הרבה מאוד דם. הוא שכב בתרדמת במשך כמה חודשים וכשפקח לבסוף א  
לא היה סביבו אף אחד. באותו יום גהרגו בלבנון שלושה חיילים، הפע  
אני מבגעת. הראו את ההלוויות שלהם בטלוויזיה. בעוד כמה ימים ש

<http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4903680,00.html> תאריך 2017



יהרגו צנחנים. צנחנים גהרגים בלבנון בחודשי הקיץ. בחודשי הקיץ כמו חגבים  
בכורות<sup>122</sup>.

أفاق إيلي آف قادوش في المستشفى. الأطباء لم يكولوا واثقين من أنه سيخرج من هذا حياً. فقد دماء كثيرة. رقد في غيبوبة على مدار شهور وحيما فتح عينيه في النهاية لم يكن هناك من حوله أي شخص. في هذا اليوم قتل في لبنان ثلاثة جنود هذه المرة من لواء جولاني أو جفعاتي. عرضوا جنازاتهم في التلفزيون. بعد عدة أيام سيقتل مجدداً مظلون. يتم قتل المظليين في لبنان في شهور الصيف. في شهور الصيف مثل الجراد في "بخوروت".

جعل المؤلف خاتمة الرواية متعلقاً بافاقة الشخصية الرئيسية من الغيبوبة مزدوجاً فهي تشير إلى أنه بقي على قيد الحياة، وفي ذات الوقت إلى أنه أفاق من من الخداء والتضليل وغسيل المخ وكم الأكاذيب الذي تعرض له، ودفعه لاتخاذ قراره الساذج بالانضمام للوحدات القتالية عالية التدريب في الجيش الإسرائيلي. وهنا يضع الكاتب يد القاريء علم الحل، ويحرضه هو أيضاً على رفض المنظومة التي جعلته يفقد الحياة الطبيعية، ويدع ياتون نير عبر معالجته الأدبية لإدانة، بل وللتمرد على العمل العنيف العنصري المطبق دون منطق، وكأنه يرى أن الصراع من أجل انتزاع تلك الحياة المأمولة يبدأ بإدارة الظهر للجيش الإسرائيلي ومنظومته العدوانية الفاسدة. ونظراً لأن رحلة الأديب أو الشخصيد الرئيسية بدأت من مرحلة الترغيب في دخول الجيش مبكراً ثم دخول معسكر التدريب الأول حتى مواجهة الموت هو زملاؤه في اختبار حقيقي للمنتج الذي تقدمه هذه المؤسسة يمكنه خلاله تقييم نجاحها في أداء وظيفتها بشكل كامل.. فبدأت لنا الرواية مؤرخة بتكنيك المفارقة والسخرية لحقبة ومرحلة سيضطر المجتمع الإسرائيلي لتجاوزها بعد فقده للجندي الأخير.

وظف المؤلف المفارقة لضرب ثوابت ومقولات نمطية تم الترويج لها على مدار  
 عقود طويلة في إسرائيل، فالكاتب ينقل لنا رؤية مفادها أن: الجيش الإسرائيلي قائم على  
 القوة والبطولة ونقائيد ولى زمنها وأساطير وشعارات صكها أدباء حملهم الكاتب مسئولية تضليل  
 الجنود استسلموا لتقليد قيادات ميدانية صغيرة فلدت بدورها قيادات وسطى حاكت  
 تصرفات القادة الكبار بكل دقة حتى في الأمور الشخصية، مما خلق حالة من  
 البرودة وانعدام الرغبة في التطور. وقد عبرت الرواية بالسخرية الانتقادية اللاذعة عن نضج  
 بمرحلة وتجلي وتكشف لحقيقة أحد أبرز أسباب معاناة المجتمع الإسرائيلي، مقترحا إعادة  
 النظر في النظرة الحالية للمؤسسة العسكرية وعناصرها. ويرى الأديب أن الحل إزاء  
 المعضلة والمعاناة واستمرار النزيف المادي والمعنوي، هو "التمرد" أو على الأقل الإقرار  
 بالتعاون مع الجيش الإسرائيلي ورفض الانخراط في وحدات قتالية.

تبين للباحث من الرواية أن المؤلف استعان بتكنيك المفارقة والسخرية ليعبر عن  
 انتقاده الانصياع لقاعدة "خصوصية الجيش الإسرائيلي"، التي تتيح له كل شيء، وأن الكاتب  
 فعل مع مظاهر الفساد بشكل انتقادي ساخر للفت الانتباه وللوصول بالقارئ لنفس  
 الهدف، حيث انعكست قناعته بأن الأوضاع في الجيش وصلت إلى حالة عبثية على تقنية  
 سخرية وتوظيفها لما يرى أنه مخرج وحل للأزمة المستعصية للجيش والمجتمع الإسرائيليين.  
 حاول الكاتب إظهار مفارقة تظهر معضلة قد تكون لها عواقب خطيرة بإقراره أن  
 شعب الإسرائيلي تحول -وفق منظوره- إلى كتلة من المخاوف الشخصية الإنسانية بعد أن  
 يك أن الدرع (الجيش الإسرائيلي) الذي يحميه من الأعداء تفشت داخله مواطن الضعف  
 فساده إلى درجة لا يجدي معها الإصلاح الداخلي نفعا.

عقد الكاتب مقارنات بين المعاملة السيئة من الجيش الإسرائيلي لمجنديه وبين  
 حالات تعرض الجنود لهجوم من الفلسطينيين، وخلص بمقارنته إلى أن وضع الفلسطينيين  
 مثل، والهدف والغاية هو توضيح مدى الاساءات والتجاوزات التي يتعرض لها المجند.  
 أبرز سخرية القارئ وتندره على الوضع الذي تدهور إليه المجند الإسرائيلي.

يدين الأديب تضليل الرأي العام على مدار عقود، مقرا بأن العرب ليسوا أكثر خطرا  
 واضطهاد الجيش وفساده، ويعترف بأن الجيش الإسرائيلي بسياساته وجرائمه لا يقدم الحل  
 لثورات بين الطبقات المختلفة في إسرائيل ولا يقدر على التصدي للمخاطر الخارجية.

خلص الأديب في تجربته الذاتية إلى أنه تعرض للتضليل على يد الضابط المتقاعد الذي نصحه في بداية الرواية أن ينضم للجيش لأنه بمثابة البوابة المضمونة لتحقيق أحلامه وأحلام مجتمعه الفقير.

المؤسسة العسكرية وفقا للأديب الإسرائيلي تصدعت وتقوضت من الداخل بسبب الفساد والمحسوبية وفشلت في ردع العرب، ولن تتجح محاولات تطويرها، وحن الوقت لإعلان ذلك ومصارحة الإسرائيليين بذلك، وبالتالي البحث عن بدائل لتلك المنظومة، والكف عن التشبث بحلول ولى زمنها، وثبت فشلها مرة تلو الأخرى حتى بعد دفع أثمان باهظة، وخشية الرقابة والعقاب عرض الأديب ما اقتنع به بطريقة غير مباشرة ساخرة.

غير مستبعد أن يساهم هذا العمل الأدبي مع أعمال أخرى في تغيير الواقع بدفع شخصيات مؤثرة على الساحة الأدبية لمراجعة مواقفها إزاء الجيش الإسرائيلي، وعلى هذا يتراكم الغضب والسخط وأن يتخلى عن قناع الأدب الساخر وينفجر الغضب في الشارع أو من خلال تمرد داخل الجيش نفسه كما قاد عدد من الأدباء وضباط الاحتياط احتجاج شعبي واسع ضد حكومة بيجين على خلفية حرب لبنان، أو على غرار غضبة الشباب في صيف ٢٠١١.

يتضح من خلال الدراسة أن المتضرر الأول من استمرار المؤسسة العسكرية الإسرائيلية في نهجها تجاه العرب وتجاه عناصرها هو المجتمع الإسرائيلي نفسه. وأن من بين أهداف المؤلف انقاذ الدولة والمدنيين وانقاذ نفسه باقناع القراء بأن تصفية وتفكيك تلك المؤسسة العسكرية حتى أصغر وحدة هي الحل.. طالما أنه لا أمل في إصلاحها، وأنها لن تكون بمثابة الرافعة التي تمكن الفقراء من تحسين مكانتهم الاجتماعية.

يبرر الأديب غضبه من الجيش وضرورة معاقبته بالهدم بتأكيد على أن الجيش الإسرائيلي قائم حالياً على تأجيل المشاكل، وتزوير الحقائق، وغياب العدالة، وعدم التعاون عند التصدي للمهام وهي كلها مقدمات لفشل مستقبلي محتوم عند أي اختبار حقيقي. عبرت الرواية بالسخرية عن مشهد معقد لا يمكن أن يستمر، وفي الوقت ذاته من الصعب التمرد عليه خشية العقاب أو التخوين.

المراجع باللغة العربية

- الوطيكي، قاموس المورد، الطبعة الثامنة والثلاثون، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠١.
- مي مومبيك، موسوعة المصطلح النقدي- المفارقة، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، دار منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الكتب المترجمة، العراق، ١٩٨٢
- عبد أفيف، المجتمع الإسرائيلي، ترجمة وتعليق د. محمد أحمد صالح، مراجعة د. محمد يونس أبو غدیر، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة بيرة، العدد ٦، ١٩٩٨
- في منصور، فادي نحاس، المؤسسة العسكرية في إسرائيل- تاريخ، واقع، استراتيجيات وآليات، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، رام الله، ٢٠٠٩.
- شاهر عبد الحميد، الفكاهاة والضحك رؤية جديدة، عالم المعرفة، الكويت، يناير ٢٠٠٣
- الحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
- عرو عبد العلي علام، الأسطورة الزائفة رحيل الصهيونية والبحث عن بديل (دراسة في ب (الإسرائيلي)، دار العلوم، القاهرة، ٢٠٠٥
- سيس عوض، اليهود في الأدب الإنجليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
- عارف القرعان، أسلوب التهكم في القرآن الكريم، في بحوث عربية، تحرير حسين بان، منشورات جامعة البنات الأردنية، ١٩٩٦
- بسيسو، نماذج من الرواية الإسرائيلية المعاصرة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠١

ינון ניר, החייל האחרון, ארייה ניר, 2015

مراجع باللغة العبرية

אבנר הולצמן, מפתח הלב, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים, 2015

דידי מנוסי , נחום רוזמן, צולי כנעני, בדיחמישים, כנרת בית הוצאה לאור, 1998.  
משה סרש (עורך) דן מירון , אקדמות לאצ"ג , מוסד ביאליק, כץ , ראיון עם ינון ניר,  
מחבר הספר "החייל האחרון" קורא בספרים , מגזין ספרות, 18-10-2015, ירושלים

2002

עמרי הרצוג, השירות הצבאי כבועה שאינה שייכת לדבר, הארץ , 24-8-2015.  
שולמית אלמוג, קריאת כבוד ארגון ופרט סיפור ומשפט, המכון הישראלי לדמוקרטיה

ירושלים, 2014

ثالثاً مراجع باللغة الإنجليزية

<https://www.britannica.com/art/irony>

رابعاً مراجع على شبكة المعلومات الدولية

[http://simania.co.il/bookdetails.php?item\\_id=962625](http://simania.co.il/bookdetails.php?item_id=962625)

<https://taxes.gov.il/IncomeTax/Pages/TaxesIncomeTaxHakalot.aspx>

<http://www.mako.co.il/pzm-magazine/Article-10ae3ae9e846a31006.htm>

<http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4903680,00.html>

<http://www.sikumim.net/files/emz.html>

<http://e.walla.co.il/item/2654688>

<http://www.themarker.com/career/1.285495>

דור בביוף, הזירה הספרותית: המתנחל מול השמאלני, 4-6-2015

<http://www.nrg.co.il/online/47/ART2/698/640.html>

<http://www.e-mago.co.il/e-magazine/blue.html>